بطرس

رواية

تأليف/ ميادة مدحت

مقدمة

عندما يختلط الحابل بالنابل فتنهار القيم والمبادىء ويصير الفساد مذهبا والاستبداد عقيدة ويصبح الشعب أسوأ من حكامه، يتحتم علينا أن نتوقع الأسوأ ..

وعندما تنعدم الرؤية فى ضباب كابوس الواقع المرير يصبح السقوط فى هاوية التطرف أوالحرب الأهلية احتمال وارد....

فى ظل الظلم يشتد التوق إلى نبى تولد على يديه شمس العدل من جديد ، ولأن عصر الأنبياء ولى بلا رجعة وجب علينا البحث حولنا وداخلنا لعلنا نجد منا أنبياء يطهرون الأرض من رجسها ...

أنبياء بلا وحى .....

ميادة مدحت

www.alkottob.com

الفصل الأول

أغلقت الباب خلفها وأسرعت إلى المصعد وأمام المرآه أحكمت حجابها ثم راحت تتأمل وجهها وتصلح هندامها مازال شكلها بالحجاب يثير دهشتها رغم أنها ترتديه منذ عامين .. خرجت من المصعد ووقفت أمام العمارة فتوقفت أمامها سيارة أجرة وهتف سائقها الدميم الذى بدا فى الستين من عمره هاتفا بها فى سماجة:

– ما تركب معايا يا قمر.. تجاهلت النظر إليه حتى انصرف ومرت إحدى سيارات الأجرة فأشارت لها وتوقفت السيارة فاستقلتها قائلة للسائق:

– نقابة الصحفيين من فضلك

فى الطريق هبت نسمة هواء رطبة وصافية، وداعبت النسمة وجنتيها فخفق قلبها وتذكرت كيف كان شعرها الناعم الطويل ينسدل خلفها ويطير مع النسيم قبل أن ترتدى الحجاب ورغم أنها لم تعتبر نفسها عورة فى يوم من الأيام إلا أنها وجدت نفسها محاطة بسيل من المواعظ فى الكلية والمنزل والعائلة حتى صديقاتها كلهن محجبات هذا غير التحرشات التى كانت تكابدها فى الشارع والمترو. لقد كانت انتصار دائما خاضعة للمجتمع فى المظاهر والتقاليد إلا أنها لم تستطع منع نفسها من الميل للسياسة ثم العمل بها لأول مرة من خلال حركة كفاية ربما كان هتافها ضد الحكومة و النظام يشبع رغبة جياشة بداخلها للهتاف فى وجه أبيها المستشار والذى عمل فى بداية حياته ضابط شرطة وكانت دائما تسخر منه وتشبهه بعسكرى الدرك الذى كان يصرخ فى الأفلام القديمة:

– ها مين هناك..

كان صارما للغاية وكأنه ماكينة كبرى تصدر الأوامر فقط .. وظلت انتصار فى أسره حتى تمت إعارته إلى السعودية وقتها فقط شعرت انتصار بالحرية الحقيقية .. كانت تنظر إلى خالها اليسارى الكبير الذى توفى منذ عامين على أنه مثلها الأعلى، كان لا يمل من الحديث معها لساعات يجيب على أسئلتها ويشرح لها موقفه من الحياة ويقص عليها ذكرياته، وفجأة رحل خالها مزدردا إهانة لم يتحملها حينما اختطف بعد مشاركته فى إحدى الوقفات الاحتجاجية وضربه أحد المخبرين على قفاه..لم يتحمل وهو فى الخامسة والستين ما كان يتحمله فى الثلاثين فمات. وبانضمامها إلى حركة كفاية كانت تشعر بأنها تكمل مسيرة خالها وتمارس حقها فى الصراخ والهتاف والرفض. وعندما انخرطت فى الحركة وبدأت تشارك فى المظاهرة تلو الأخرى نما وعيها أكثر، لم تعد المسألة شخصية فى نظرها بدأت تقرأ وتفهم وتعرف أن أى وضع فردى خاطىء أو مأساوى هو بالضرورة انعكاس للوضع العام ولأول مرة تحب انتصار كلية الحقوق التى التحقت بها دون رغبتها وصار حلمها أن تمتلك مكتبا للمحاماة بعد التخرج وأن تتزوج بطلا قوميا أو على الأقل عضوا سياسيا نشطا فى كفاية.. سألتها إحدى صديقاتها ذات مرة:

– مش خايفة على نفسك من البوليس؟

– واخاف ليه؟ والدى مستشار كبير وأنا مسنودة و خالى علمنى أن الغضب الذى يسببه الظلم سيأتى عليه لحظة حتمية ويصبح أقوى بكثير من أى خوف.. ساعتها نبهتها تلك الصديقة إلى أنها بدأت تستخدم الفصحى كثيرا فى حوارها كما أن حديثها أصبح مملا وصعب الفهم، وفى خلال أشهر قليلة من بداية نشاطها السياسى كانت علاقة انتصار قد انقطعت بصديقاتها كلهن إما لأنهن عجزن عن التواصل مع اهتماماتها الجديدة وإما لخوفهن من التورط أمنيا..

www.alkottob.com

.. وصلت السيارة إلى نقابة الصحفيين فترجلت انتصار بعد أن أعطت السائق أجرته وعبرت الشارع إلى مقر النقابة حيث كان هناك تجمع كبير من الناشطين على السلالم وكان هناك كردونا أمنيا ضخما يحاصر منطقة وسط البلد كلها ،وفى داخلها ارتجفت انتصار للحظة ولكنها شجعت نفسها قائلة:

– ياللا يا انتصار دى مش المرة الأولى اللى تنزلى فيها مظاهرة

وهمت انتصار بعبور الشارع ولكن الأرض انشقت فجأة عن سيارة ميكروباص زرقاء زجاجها معتم وفى لحظة وجدت انتصار نفسها داخل السيارة التى دفعها إليها مخبر ضخم وحاولت انتصار المقاومة لكن الضرب الذى انهال عليها من ثلاثة وحوش كانوا داخل الميكروباص المخيف أفقدها الوعى تماما..

www.alkottob.com

ابتسم بيتر عونى للكاميرا فى إرهاق وأمسك الميكروفون ليبدأ فى سرد تقريره المصور عن أحداث يوم الاستفتاء على تعديل المادتين ٦٧ و ٧٧ من الدستور المصرى قائلا:

– لن تنسى منطقة وسط البلد هذا اليوم من عام ٢٠٠٥ حيث حاصرت جحافل قوات الأمن المركزي المنطقة ، المشهد يوحى أن ثمة معركة حربية على وشك الحدوث، وعلى سلم نقابة الصحفيين كانت هناك حشود غفيرة من المدنيين يتظاهرون، بالقرب من ميدان التحرير، وعلى كورنيش النيل كان هناك جيشا من السيارات والميكروباصات التصقت ببعضها واختنقت في زحام ليس له مثيل حيث اتضح لنا من مشهد الركاب المتذمرون في صمت أن المواجهة في وسط البلد قد حكمت عليهم أن تتوقف حياتهم وأن يوقفوا ساعات اليد عن الخفقان حتى تحسم نتيجة المعركة غير المتكافأة. في أحد الميكروباصات التى كنت أقف إلى جوارها دارت مناقشة حامية الوطيس حول ما إذا كان السبب في هذا الزحام ووقف الحال المتظاهرون أم قوات الأمن.

..ومن أحد أوتوبيسات النقل العام أخرج المواطنون رؤوسهم ليشاهدوا بيتر وهو يتحدث أمام الكاميرا وراح البعض يلوح للعدسات فى بلاهة والتفت أحد الركاب إلى رفيقه فى المقعد المجاور قائلا:

– هما الجماعة المعارضين دول فاكرين نفسهم هيغيروا الكون.. هما هيستفيدوا إيه لما يعطلونا ويغضبوا النظام؟

وازدرد الرجل الأخر لعابه ولم يجب بل أدار وجهه للناحية الأخرى وكأنه لم يسمع فتبرع أحد الركاب والذى كان واقفا ويستند بكلتا يديه إلى المقعد الذى كانا يجلسان عليه ويكاد عرقه يسيل على وجوههم قائلا:

– انت عايزهم يسكتوا على الفساد والرشوة والاستبداد؟ ثم يا أخي كتر خيرهم أهم بيثورلنا سلف، وبيتبهدلوا في المعتقلات نيابة عننا.

يقاوح المواطن اليائس الأول معترضا:

– دى مش ثورة ده غباء، وهو إحنا كنا استفدنا إيه من المظاهرات وقال أعضاء كفاية مسميينا الأغلبية الصامتة.. صامته ازاى ده إحنا حتى مبنبطلش كلام، هو إحنا بنعمل حاجة طول حياتنا غير الكلام؟ ثم إن الثورة إللى متوصلش أصحابها للحكم متبقاش ثورة

.. استبد الحر والقهر بالمواطن اليائس الثاني وتصور أن غريمه في النقاش هو أحد أعوان النظام فيحتد عليه صارخا :

– أنت إيه يا أخي شانن حرب نووية على اللي بيتظاهروا ليه؟ أنت مرشد للأمن ولا إيه نظامك؟

يثور الآخر ويرغى ويزبد:

– أنا مرشد يا ابن الـــ.....؟

ويتحول النقاش بالكلمات إلى صراع باللكمات

وعلى الناصية الأخرى يواصل بيتر عونى تقريره أمام الكاميرا قائلا:

– والغريب أننا التقطنا في هذا اليوم أكثر من ثلاثين مشهدا لمشادات بين الناس في إشارات المرور في وسط البلد ولا أستبعد أن يكون السبب واحد، يبدو أن الناس فى مصر غاضبون من الحكومة ولكنهم يفضلون تفريغ هذا الغضب في صدور بعضهم البعض بدلا من إطلاقه في وجه النظام، إما لخوفهم من بطشه وإما لأن إعلامه قد غيبهم حتى صاروا لا يعرفون لهم عدوا فلا يحاربون غير طواحين الهواء.

غير أن أكثر ما أثار انتباهي هو أحد العساكر في أواخر العقد الثالث من عمره قوى البنية ملامحه متيبسة وعيونه ميتة يضرب بعنف وقسوة ولكن بدون أدنى تعبير عن الغضب على وجهه، ولولا أنى أعلم أن مصر

www.alkottob.com

من الدول المتخلفة تكنولوجيا لقلت أن هذا العسكري ما هو إلا إنسان آلى ابتكرته قوات الأمن في مصر لتضمن وجود عسكري مطيع للأوامر وبدون نقاش وعنده القدرة على التنفيذ بدون ضمير يردعه ولا عقل يمنعه. لقد أذهلني أن أعرف أن زملاءه يطلقون عليه لقب " عسكري الدرك"، وهو اللقب الذى كان يطلق قديما على العسكري المكلف بحراسة الشوارع ومنع حدوث حوادث السرقة والاغتصاب وما إلى ذلك، هذا ما فهمته من صديقي المصري، ولكن ما لم أتمكن من فهمه كيف يسميه زملاؤه "عسكري الدرك" في الوقت الذي كان يرى ويسمع بل ويشارك في عمليات هتك أعراض المتظاهرات بل إننى لمحت في عينيه السعادة وهو يمزق ملابس إحداهن ويتطاول على حرمة جسدها، لقد رأيته يضرب زميلا له أقل بكثير في الحجم ليأخذ منه هاتفا نقالا كان يخص أحد المتظاهرين ثم يدسه في جيبه وكأنه حق مكتسب له؟ هل يعتقد هذا العسكري أن الناشطين السياسيين والحقوقيين لصوص؟ ترى هل استغلوا جهله ليوهموه بذلك؟ أم أنه يعلم حقيقتهم ويعلم حقيقته فيصر على إلصاق هذا اللقب بنفسه حتى ينفى عنه تهمة اللصوصية؟

كان معكم

بيتر عوني

القاهرة

من أمام نقابة المحامين

****

جلس "عماد" وكيل النيابة الشاب على مكتب أنيق مرتديا بذلة كاملة وربطة عنق فكها قليلا ثم قام ليخلع الجاكت ووضعه على ظهر المقعد بعناية وهو يرمق بإعجاب الفتاة التى دخلت عليه للتو وأشار إلى الكاتب أن يسجل وقائع التحقيق مع الصحفية الشابة التى جلست متهالكة على المقعد أمام الوكيل ليسألها:

– اسمك وسنك وعنوانك ووظيفتك

وتجيبه الصحفية التى كانت ملابسها ممزقة وتستر جسدها المرتجف بجاكيت رجالى أسود اللون

– هدى محمود قدري، ٢٨ سنة صحفية بجريدة الرأي، عنوانى ٤ ش الخلفاوى/ شبرا

– لقد قدمتى بلاغ يفيد بتعرضك لهتك العرض العلني على مدخل مقر نقابة الصحفيين في المظاهرات التى قامت بها حركة كفاية للاحتجاج على استفتاء تعديل المادة ٧٦ من الدستور.. – ما سبب تواجدك هناك؟

أجابته هدى:

– كنت مكلفة من الجريدة بتغطية أحداث المظاهرة وذهبت إلى هناك لتأدية عملي

– وعملك هذا إجبارى ألم يكن من الممكن أن تعتذري عنه؟

ردت هدى بعصبية واستنكار:

– هو سيادتك بتحقق معايا أنا بدل ما تستدعى المجرمين اللى ارتكبوا الواقعة وتحقق معاهم؟

فمال عماد إلى الامام ورد متأملا هدى:

– ما هو لما واحدة بالجمال والأنوثة دى كلها تنزل مظاهرة فيها أشكال مش ولابد من البديهى أن تتعرض لكوارث.. متوقعة ايه من شوية شباب ضايعين بيعملوا هرج ومرج ..ثم التفت إلى كاتبه وصرخ فيه :

– انت بتكتب إيه يا زفت؟ متكتبش السؤال اللى فات يا غبى.. اشطبه

ثم يلتفت إلى هدى التى تجيبه بحسرة:

www.alkottob.com

– الشباب اللى حضرتك تقصدهم كانوا بيعبروا عن رأيهم مش أكتر، ومتنساش يا فندم إن الشباب دول هم اللي خلصوني وستروني بهدومهم، اللي عملوا كده كانوا من الأمن يا فندم

يرد عماد باستهزاء :

– طب احكى لى يا هانم اللي حصل لك

ارتجفت هدى وامتقع وجهها شديد البياض وقالت :

– حوالى الساعة العاشرة صباحا كنت أمام نقابة الصحفيين ومعي زميلي المصور الذي يرقد الآن في المستشفى بعد أن تم ضربه ضربا مبرحا، بدأت في إجراء بعض الحوارات السريعة مع المتظاهرين بينما كان زميلي يلتقط صورا للمظاهرة، عندما لاحظت اقتراب بعض الشباب من الجهة المواجهة لنا والذين كانوا يهتفون للنظام يقتربون منى ثم حاصرونى في شكل دائرة كنت فى منتصفها ومعى إحدى عضوات حركة كفاية وبدأ هجومهم علينا بالضرب ثم مزقوا ملابسنا وهتكوا عرضنا

– هل تذكرين عددهم وملامحهم بالتفصيل؟

تبكى هدى ثم تمسح دموعها قائلةً:

– كانوا ستة ولقد اخذوا أوامر مباشرة من الرائد وليد لقد سمعته بنفسي وهو يأمرهم قائلا: "قلعوها هدموها بنت الكلب دى".

اعتدل وكيل النيابة في جلسته وبدا مذهولا مما يسمعه وقال لنفسه:

– أنا عارف إن الضباط وسخين بس مش ممكن يكونوا وصلوا للانحطاط ده. ثم نظر لهدى بحزم ورفع صوته فيها:

– انتى عارفه انتى بتقولى إيه؟..اللي انتى بتقوليه ده لو صحيح يبقى عليه العوض في البلد

أجهشت هدى بالبكاء وقالت:

– يبقى عليه العوض في البلد يا فندم

– كملي يا هدى

– اقتربوا منى وأخذوا حقيبتي وهاتفي المحمول، ثم بدأ اثنان منهم في التطاول على جسدي وتمزيق ملابسي، وبدأت أصرخ وخصوصا أنهم كانوا قد أوقعوني على الأرض في محاولة اغتصاب حقيقية، ورأيتهم يضربون أحد المتظاهرين الذي حاول انتزاعي من أيديهم. وعندما انتبه زميلي لغيابي ورآني في هذا الوضع اقترب صارخا باسمي وسمعت واحد منهم بيقول لزميله : الواد ده حلو قوى وهيعجب وليد بيه تعالى نمسكه، واتجها إلى زميلي محمد ليجروه إلى سيارة زرقاء ميكروباص تابعة للشرطة، بينما هذا الوليد بيه يرمقه باشتهاء غير طبيعي، وبعدها انشغلت بما يحدث لي حتى تمكن زميلين من الصحفيين من انتشالي من أيديهم وسترى بملابسهما. وبعدها عرفت أن محمد قاومهم بضراوة حتى انهم يئسوا من أمره فأشبعوه ضربا وألقوه على رصيف الشارع..... أكملت هدى سرد الوقائع ووكيل النيابة مشدوها بما يسمع وقبل أن تخرج هدى من المكتب التفتت إلى وكيل النيابة وكأنها قد تذكرت شيئا مهما:

– آه .. على فكرة يا عماد بك أقذر واحد من الستة اللي كانوا حواليه كان عسكري أمن مركزي أسمر وشكله وحش وواضح عليه الغباوة وهو يا فندم الذى وضع يده فى .....تطرق خجلا فيسألها:

– عرفتى اسمه؟

– لا لكن كان زمايله كانوا بيقولوا له " يا عسكري الدرك"..

www.alkottob.com

انصرفت هدى مكسورة إلى منزلها واستدعى وكيل النيابة الشهود الذين أكدوا ما قالته هدى بل زاد بعضهم على ما قالته عما تعرضت له غيرها من الصحفيات وناشطات المجتمع المدني من هتك عرض وتحرش وسرقة.

بعد الانتهاء من أخذ أقوال الشهود التفت الكاتب إلى وكيل النيابة ليسأله:

– معقول اللى سمعناه يا فندم؟ يعنى الولية أم فاروق ممكن تنزل الشارع باحترامها وألاقيها راجعالى ملط ؟ طب ساعتها أبلغ مين؟ البوليس؟ طب افرض أن البوليس هو اللى كان مقلعها ساعتها أقدم بلاغ لمين؟..لم يرد وكيل النيابة على سؤال الكاتب ولكنه قال له:

– جهز نفسك بكرة نروح مستشفى المنيل الجامعي، عشان ناخد أقوال المصور المضروب ثم يحدث نفسه قائلا:

– أنا ورا الموضوع لما اعرف إيه اللي بيحصل في البلد.

فى اليوم الذى تلا الاستفتاء على تعديل المادتين ٧٦،٧٧ من الدستور وفى مقر إحدى الصحف القومية كان رئيس التحرير البدين جالسا فى مكتبه الفخم و يتحدث في الهاتف بسعادة بالغة وعلا صوته وهو يقول لمحدثه:

– احنا تحت أمرك يا فندم اعتبرنا خداميك يا سعادة اللواء ، هههههه وإحنا في ديك الساعة لما ننفذ أوامر معاليك.. يرتج جسده الهلامي من الضحك وهو يمسك بالعدد اليومي من جريدته ويقرأ المانشيت الرئيسي:

– الشعب يقول كلمته بحرية.. نعم لتعديل المادة ٧٦ من الدستور.. ما رأيك يا باشا؟

ويرد عليه الضابط الكبير بنبرة سخرية:

– عظيم جدا يا أجدع جورنالجى في مصر، وتبدل صوته وهو يقول بحده:

– انت مدرك فداحة اللى هببته يا أفندي؟

– ايه اللى انا عملته يا فندم؟

– انت أثبت علينا تهمة تزوير نتيجة الاستفتاء.. ازاى تكون النتيجة الرسمية لم تعلن بعد وأنت بتقول في جريدتك اللى كانت فى السوق من امبارح أن الشعب قال نعم؟

ارتجف الصحفي ثم برقت عينيه وقال:

– وهو الشعب يقدر يقول لا يا فندم؟ ده يبقى حقيقي شعب ناكر للجميل وقليل الربابة لما يعترض على تعديل تقدم به رب عائلة مصر. وعندما لاحظ صمت اللواء أكمل في حماس قائلا:

– وبعدين المعارضة كده كده كانت هتقول أن الاستفتاء مزور وتتهم الشرطة بتزوير النتيجة احنا كده نبقى حطينا حصوة في عين اللي مبيختشوش وإذا اتهموكوا هنقول إن إحنا أعلنا النتيجة قبلكوا وذلك بناءا على توجيهات السيد الرئيس

يصرخ اللواء في جزع:

– ايه؟

– آسف يافندم أقصد بناءا على ننتائج استطلاعات الرأي التى قامت بها الجريدة

– يا سلام يا اخويا وانتوا عندكو مركز لاستطلاعات الرأى

www.alkottob.com

– نعمله يا فندم وبتاريخ السنة الى فاتت.. وبعدين هو يعنى حد هيفتش ورانا؟ اطمن خالص سعادتك ده إحنـــا الكلاب المخلصة للحكومة يا بيه

يضحك اللواء ويقول للصحفي:

– أما انت يا عبده عليك حركات.. أتاريك موصلتش بالسهل

ويضحك رئيس التحرير حتى يسمعه صحفيان خارج مكتبه

– يا ترى مصيبة إيه اللي مخلياه يضحك أوى كده

– تلاقيه بس مزود العيار حبتين النهارده رغم انى أسمع إنه مبيشربش الصبح

www.alkottob.com

فى إحدى الغرف بمستشفى المنيل الجامعي جلس عماد "وكيل النيابة" في غرفة محمد المصور الصحفى الذي تم ضربه في مظاهرات الاستفتاء، وخرج الطبيب من الغرفة بعد أن طلب من وكيل النيابة عدم إرهاق المريض بالأسئلة..

اتجه عماد بنظره الى محمد الذى اختفى وجهه خلف الضمادات وسأله:

– اسمك وسنك وعنوانك ومهنتك

– محمد على ٢٦ عام مصور صحفي ساكن في بلوك ٤ المساكن إمبابة

– ياريت تركز يا محمد وتحكي لى بالتفصيل الذى حدث لك

يرد محمد والدموع تملأ عينيه:

– ياريت انت يا باشا تحكيلى وتفهمني ايه اللى حصل للبلد ، اللى حصل لى حصل وانتهينا ولكن نفسي افهم ليه حصل؟

– هل لك اتجاه سياسي معين؟

– ولا حتى بافهم في السياسة ، التقاط الصور ده أكل عيشي يا فندم،لكن الحيوانات ضربوني وسحلوني والضرب ده زى ما عرفت من الممكن أن يؤثر في قدرتي على الزواج مستقبلا. واضح إن الضابط الشاذ اغتاظ لعدم قدرته على اصطيادي فأمر رجاله بحرماني من رجولتي دول كانوا متعمدين الضرب في مكمن رجولتي.. اختنق المصور بالدموع وشعر عماد أنه لا فائدة من استجواب رجل يبكى على أغلى ما يملك وقد كان في حالة من الذهول تعجزه حتى عن التفكير فما بالكم بالرد على الأسئلة الرسمية بإجابات شافية. خرج وكيل النيابة من الغرفة متألما وقد بدأ يصدق ما يسمعه ويستوعب فكرة إن الذي حدث من جرائم كان حقيقيا، وراح عماد يحدث نفسه صحيح أنه قد تغير بعد أن التحق بالعمل فى النيابة ففسخ خطبته من ابنة الجيران ليخطب ابنه أحد المستشارين من رؤسائه وصحيح أنه يقبل بعض الهدايا والاكراميات لكنه كان يرى أن ذلك لا يؤثر على عمله ولا يمنع أنه بالفعل يحب مصر وهو لم يؤذى أحدا أبدا أو هكذا كان يرى ولعل هذه القضية تكون فرصته ليفعل شيئا يفتخر به من خلال موقعه فهو مقتنع تماما أنه ليس سيئا مئة فى المائة .. وبينما كان عماد يهبط فى أسانسير المستشفى والخاص بنقل المصابين والمرضى بعد أن فتحه له أحد الأطباء وبينما راح ذلك الطبيب يطلب من عماد تقضية مصلحه له فى المرور كان كاتب النيابة يقنع أم المصور بدفع عشرة جنيهات بحجة إنهم رسوم تحقيق، ولم تتخلص المرأة من سماجته حتى جاء أحد أصدقاء ولدها وعرف الموضوع فضربه وهدده بالإبلاغ عنه بتهمة طلب رشوة، فرفعت الأم وجهها إلى السماء وهى تقول :

– بقى ياربى يحطموا ابني وكمان عايزين يا خدوا فلوس حلاوة ما ضيعوه..حسبنا الله ونعم الوكيل. وفى السيارة ينهر علاء الكاتب قائلا:

– انت مبتشبعش أبدا يا بني آدم؟ هو مفيش تمييز؟

يدعى الكاتب عدم فهمه لما يقال فقال عماد:

– أنا عارف انت تأخرت فوق ليه؟

وارتبك الكاتب قليلا ثم قال:

– عالم بخلاء يا علاء بيه.. إلا ماعزموا عليا بسيجارة..

– سيجارة إيه يا ابن العبيطة انت في فرح؟ الناس حزينة على ابنها وأنت بتفكر في السجاير والمينى رشوة بتاعتك

فسبه الكاتب في سره قائلا :

www.alkottob.com

– سيبنا لك الرشاوى الكبيرة يا علاء بيه..

وانطلقت السيارة إلى مقر النيابة

www.alkottob.com

فى مقر أحد الأحزاب المعرضة بعد يومين من الاستفتاء دار نقاش ساخن بين الثلاثة الكبار فى الحزب بـــدأه نائب رئيس الحزب قائلا:

– لابد أن يقاطع حزبنا الانتخابات الرئاسية القادمة مثلما قاطعنا الاستفتاء

فيرد سكرتير عام الحزب:

– هو العفريت اللي عليك اسمه نقاطع؟ إذا كنا نسعى لوجود حقيقي في الشارع فمن الضرورى أن نشارك لا أن نقاطع

ويستيقظ رئيس الحزب من نومه ليسأل:

– تقصد إيه؟

واجابه السكرتير العام

– أقصد أن يرشح الحزب أحد كوادره في انتخابات الرئاسة

فيسأل رئيس الحزب:

– تقصد مين؟

ورد نائب الحزب مداهنا

– أكيد يقصد سيادتك يا فندم

– وهو أنا يا دكتور لو اترشحت هنجح؟ وبعدين انتوا عايزينى أقف قدام الريس كده حته واحده؟ انت عـــايز الصحافة القومية تتهمني بالسعى للحكم؟

يرد السكرتير العام

– أظن السعي للحكم لم يعد تهمة بعد التعديل الأخير في الدستور

رئيس الحزب

– هه انت بتصدق؟ ويرد النائب

– لازم كلنا نصدق يا فندم.. ده حتى النظام هيفرح أوى إننا هنشاركه الفيلم اللي هو عامله وف الآخر نطلـــع إحنا كومبارسات ونطلعه هو وحش الشاشة اللي هيكتسح الأصوات رغم وجود منافسين، وبهذا نكون ضـــربنا عصفورين بحجر، كسبنا رضا النظام وعملنا بروباجندا حلوة للحزب في الشارع السياسي

رئيس الحزب شاردا ببصره

– والله فكرة مش بطالة.. بس تفتكر بجد إن الريس هيرضى عنا لو عملنا كده؟

يهز وكيل الحزب رأسه بابتسامة

– بالتأكيد يا حاج وبعدين متنساش أن كل مرشح هايحصل على دعم مالى كبير من الحكومة أنا سمعت أنـــه ممكن يتجاوز النص مليون وده مبلغ ممكن ينفع الحزب ويتبقى شوية تعينهم للمستقبل

تلمع عيون رئيس الحزب –الذى بلغ من العمر أرذله – وقد راقته الفكرة ويبتسم ابتسامة عريـــضة أظهـــرت لمعان السنة الوحيدة التى أبقتها الأيام فى فمه ..

ويتنهد سكرتير عام الحزب فى ذهول وحسره قائلا فى سره: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا!

www.alkottob.com

وفى مقر حزب معارض عريق فى منطقة راقية جلس رئيس الحزب فى صالون فخم مرتديا حلة أنيقة للغاية – خلفه صورة زعيم الحزب الراحل– وجلس أمامه فى نفس الصالون بيتر عونى ودار بينهما حوار تليفزيونى بدأه بيتر عندما سأل رئيس الحزب:

–ما رأيكم في التجاوزات التي حدثت يوم الاستفتاء؟

أجاب رئيس الحزب فى بلاغة :

– هذه ليست تجاوزات إنها جرائم بشعة: هتك عرض وضرب مبرح واعتقالات وسحل.. وسط البلد تحولت لساحة حرب بسبب عنف الأمن غير المبرر، هذه وسائل لا تستخدمها إلا النظم الشمولية المستبدة.. ويعقب بيتر:

– ولكن الأمن يبرر.. يقاطعه رئيس الحزب بحده قائلا:

– متقاطعنيش أنا لسه مكملتش.. مفيش مبرر أيا كان يجعلك تتعدى على الصحفيين أثناء أداء عملهم، أو تعتقل شباب يعبرون عن رأيهم في عصر انت بتزعم أنه أزهى عصور الديمقراطية في مصر

و تشرق ابتسامة مرحة على وجه بيتر الخمرى وهو يسأل:

– بمناسبة الديمقراطية وندائكم بتحديد فترات الرئاسة بحيث لا تزيد على اثنتين، هل تطبقون هذه القاعدة في حزبكم الذى من المفترض أنه حزب ليبرالي؟

– لقد نادينا بالفعل بتحديد الفترات الرئاسية أسوة بالدول المتقدمة، ويضحك قائلا: أما بالنسبة لحزبنا فالوضع مختلف تماما و ذو طبيعة خاصة فنحن حزب لا توجد فيه رئاسة بل زعامة وأبوة ولائحة الحزب لا تنص على تحديد فترات رئاسته، فهل تريدنا أن نخالف لائحة الحزب؟

سأله بيتر باستنكار:

– وهل دستور جمهورية مصر العربية ينص على تحديد فترات الرئاسة؟

فاجاب رئيس الحزب:

–لا.. ولكننا نطالب بتعديل الدستور

– نتمنى أن يتم ذلك وأن تعدلوا لائحة حزبكم لتتناسب مع الليبرالية التي تطالبون النظام بها.

وهنا يتململ رئيس الحزب في نفاذ صبر قائلا:

– أوعدك إن الموضوع ده يكون محل دراسة

– هل لديكم تعليق أو جمله تودون الختام بها

– نعم. أود أن أؤكد على قيم الديمقراطية وأطالب الحكومة وباقي أحزاب المعارضة بالاقتداء بحزبنا العريق وبالممارسات الديمقراطية داخله

– شكرا يا فندم

وانصرف بيتر وهو يضرب أخماسا فى أسداس ليدخل السكرتير الخاص لرئيس الحزب قائلا:

– الأستاذ منصور خارج المكتب يا فندم وعايز يقابلك عشان يناقش قرار تعيين مصطفى السماك في الهيئة العليا للحزب

– يعنى إيه يناقشني؟

– هو بيقول إن مصطفى ده يا فندم لا يتسم بطهارة اليد كما أنه ناصري قديم فكيف ينضم إلى حزب ليبرالي؟ ومنصور يحتج على ....

www.alkottob.com

– يحتج؟؟ افصلوه اكتب لى قرار فصله من الحزب حالا

– لكن يافندم منصور من أهم الكوادر الشابة عندنا و..

رئيس الحزب:

– أنا قلت افصلوه فورا وإذا طولت في الكلام عن كده هافصلك انت كمان

–أمرك يا فندم

ويدق جرس الهاتف ليرد رئيس الحزب الليبرالي:الو.. أهلا يا دكتور ازيك...طبعا سنحتج وسنواصل الهجوم على النظام الشمولي ده.. أنا وصلتني مستندات خطيرة من فاعل خير تفضح ممارسات الأمن يوم الاستفتاء.. آه فاعل خير مسمى نفسه عسكري الدرك..أنا لن أسكت.. إحنا أهم حاجة عندنا زى ما انت عارف هى الديموقراطية.. الديموقراطية يا عزيزي.

www.alkottob.com

فى أحد معسكرات الأمن المركزي جلس عبد الجبار في ركن في حوش المعسكر وقد ارتسمت عليه علامات التعب كان أسمر اللون أقرب للدمامة ضخم الجثة كان يعيش الآن أهم لحظات حياته .. اللحظة التي اكتشف فيها أخيرا أن بإمكانه أن يكون مهما.. تنشر الجرائد صوره فى صفحتها الأولى وهو يوسع المتظاهرين ضربا ولكنه لم يصل إلى هذا النجاح إلا بشق الأنفس .. يستند العسكري بظهره إلى الجدار ويجول بعينيه في السماء، أما ذاكرته فتسافر إلى قريته في إحدى محافظات الوجه القبلي منذ خمسة عشر عاما حينما كان في الثالثة عشر من عمره. يرى نفسه سعيدا ويضحك بينما يجرى في الحقول مع أقرانه كانت بلدته جميلة للغاية الجبل خلفها والنيل أمامها وأهلها طيبون وبسطاء إلا أنه لم يدرك أبدا كنه الشيء الذي كان يدفعهم إلى تقديس القهر ففي العهود التي لم يحكمهم فيها عمدة ظالم كانوا يظلمون هم أنفسهم وتنتشر جرائم القتل ثم الثأر للقتل بالقتل، حتى أنه كان دائما يعتقد أن أهل قريته يعشقون الحزن ويحبون خنّاقهم تماما مثل القطط. يقطع عليه حبل أفكاره صوت زميله عيد وهو ينادى عليه لأن عبد القوى باشا يريده، يقف العسكري وفى عينيه مزيج من الذل والغضب المكتوم ويهتف في سره:

– عايز إيه تانى؟ يا ترى هيضربنى بإيه المرة دى؟

ويسير العسكري متثاقلا حتى يصل إلى باب غرفة الباشا مدير المعسكر وعلى الباب يقف العسكري الآخر وفى عينيه الخوف والتقدير للقادم ويفتح له الباب قائلا في إعزاز:

– اتفضل يا عسكري الدرك

ويدخل عسكري الدرك إلى مكتب عبد القوى الذي لا يرحم ولا يترك رحمة الله تنزل على عباده ويغلق الباب خلفه وهو لا يعلم أن ثمة باب من الجحيم قد انفتح على البلد ولن يستطيع هو ولا غيره أن يغلقه.. ويقف عبد الجبار مرتعدا أمام الباشا بينما تسافر ذاكرته إلى ١٩٩٠ فى قريته الصغيرة بالصعيد

www.alkottob.com

كان والد عبد الجبار جالسا في حقله ممسكا بناي يعزف عليه لحنا شجيا ، وكان عبد الجبار صبيا يلهو مع أقرانه بعد أن فرغ من تناول الغذاء مع والده، بينما أتى من الجانب الآخر رهط من الرجال قاصدين "مظلوم" الذى لم يعرف أبدا لماذا سمته أمه بهذا الاسم ، وكان مظلوم كالقبلة التي يقصدها كل محتاج وذو مظلمة في البلد، ولم لا وهو المناضل القديم الذي عاش شبابه المبكر مقربا من نجيب سرور وشهدي عطية ورؤساء الحركة الشيوعية في مصر في فترة الستينات. وينادى عليه أكبرهم سنا:

– السلام عليكم يا أبو عبد الجبار

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. اتفضلوا يا رجالة

وجلس الرجال ليبثوا مظلوم شكواهم من العمدة المفترى الذي يأتمر بأمر مأمور المركز وباشاوات مصر واستمع لهم باهتمام وعلامات الأسى تملا وجهه الأسمر.. ثم قال:

– أنا قلت ميت مرة لابد نسيب خناق بعض شويه ونمسك في خناق الظلمة وناخد تارنا منهم لكن محدش سمع كلامي

وهنا هتف أحد الرجال:

– خناق مين يا مظلوم ؟ إحنا قدهم

– لو نظمنا نفسنا وحددنا مطالبنا واحد اثنين تلاته هنكون قدهم ونص، دلوقتى الأرض بتاعة قناوي وعبد الرحمن هياخدوها وتدخل كردون مباني لأن الباشا اللواء عايز يعمل فوقها مدرسة وإحنا عارفين انه بعد ما طلع معاش عايز يدخل الانتخابات بتاعة مجلس الشعب وعايز يبنى المدرسة على أرض مش بتاعته بفلوس حرام أخدها من الرشاوى.. يعنى من دقنه وافتل له.. لازم كلنا نتحد ونواجهه هو عنده خمسين فدان في بلدنا لو عايز يعمل مدرسه يعملها على أرضه ..

– أنت في دماغك حاجه يا مظلوم ؟

– أيوه يا عم محمدين أنا عندي خطة.. اسمعوا يا جماعه

ويشرح مظلوم خطته لمواجهة مخطط الضابط وعصابته والرجال يستمعون في اهتمام ويحدث محمدين نفسه قائلا:

– يا سلام على كلامك يا مظلوم طول عمرك حديتك مزوج ومترتب بتعرف تتكلم بجد"... ومن بعيد كان عبد الجبار يلهو مع أقرانه وينافسهم في العوم ويسبقهم وخلفه رفيقيه "الزعيم" و "ورداني" وهما يتندران على جسد عبده اللي زى الطور ومن لسانه الذي لا يستخدمه ربع ما يستخدم ايديه المرزبات.. ويضحك الزعيم قائلا " هو بيعرف يتكلم أصلا؟".... فيرد ورداني:

– على رأيك رغم إن أبوه كلامنجى إنما إيه!!!!!!

وجد عبد الجبار نفسه في مواجهة "عبد القوى" باشا لأول مرة منذ ضربه بالقلم على وجهه يخمد عبد الجبار سيف جبروته فكل مفترى له مفترى أقوى يلمه، يقول عبد القوى بدون أن ينظر تجاهه:

– الجرائد المعارضة كلها كاتبة عن عسكري في الأمن المركزي يشيع الرعب فى الشارع وناشره صورك نقلا عن النيويورك تايمز واعترافات فى رسائل تدين أجهزة الأمن في تلفيق قضايا وتزوير وهتك عرض.. احم احم.. الحقيقة إن فيها حاجات تم ارتكابها في معسكرنا هنا.. قصدي يعنى.. بيدعوا إنها حصلت هنا.. ويلوح شبح ابتسامة تشفى على وجه عبد الجبار ثم يتدارك الأمر بسرعة وينظر في عيني عبد القوى باشا ويهز كتفيه وكأنه لا يعلم.. فيقول الباشا في غضب عارم:

– الرسائل دى موقعة باسمك؟

www.alkottob.com

– عبد الجبار مظلوم يا فندم؟..

– لا التانى.. اسم الشهرة، اللقب بتاعك عسكري الدرك..

يرتجف عبد الجبار متهتها :

– العساكر ك.. كتير يا باشا وبعدين أنا مم مم مقدرش اعمل حاجة زى كده يا فندم

وهنا هب عبد القوى واقفا ودار حول عبد الجبار الذي تحول لونه الأسود الى صفار يميل إلى الزرقة وكأنه جثه واقفة على قدمين.. وهمس مهددا :

– لو تأكدنا انه أنت مش هنرحمك ثم يضربه على قفاه أنت عارف هنعمل فيك إيه وهنوديك فين يا ابن الـ..... وانهالت الاهانات والركلات واللكمات على عبد الجبار وهولا يجد على لسانه إلا كلمات متلعثمة

– مش أنا يا باشا .. مش أنا يا فندم

وبعد أن تعب عبد القوى من الضرب طرد عبد الجبار من مكتبه..ثم استدعى عسكري آخر وطلب منه مراقبة عبد الجبار سكناته وحركاته وموافاته بتقارير عما يلاحظه

أما عبد الجبار فقد انتابته رعشه في جسده كله وشعر بدقات قلبه تتزايد وبجسده يبرد فاندفع بكامل قوته إلى مطبخ المعسكر وضرب الطباخ ثم فتح الثلاجة والتهم معظم ما كان فيها مما أثار خوف وذهول الطباخ.. وبعد أن امتلأت معدة عبد الجبار بدأ رعبه يزول تدريجيا ليبقى بداخله مرارة الذل وعار الإهانة.. وكان بداخله يعرف أنه لن يقدر على مواجهة عبد القوى ولو فعل لكان هو الخاسر الوحيد فهو مجرد عسكري حقير..كما أنه يفك الخط بالعافية فكيف يكتب تقارير ويرسلها إلى صحف أجنبية صحيح أنه يشعر بالفخر وهو يرى صورته تزين الجرائد بالرغم من أنه لا يفهم الكلام المكتوب تحتها إلا أنه لا يملك الجرأة ليراسل جريدة أو مجلة بل إنه أصلا لم يكتب خطابا فى حياته..شعر بالذل وبالغضب وقلة الحيلة وفجأة تذكر انتصار الفتاة الجميلة ابنة المستشار التي تم اختطافها من مظاهره في وسط البلد واحتجازها في المعسكر والتي اعتاد الرائد علاء ضابط أمن الدولة الذى يأتى للتحقيق مع المحتجزين التحرش بها وعندما كان عبد الجبار يحاول مغازلتها كانت تبصق في وجهه.. اقتحم عبد الجبار الغرفة التي يحتجزونها فيها وكعادته لم يتحدث بل استخدم يده وسلاحه بعد أن حشا فمها بمنديله حتى لا تصرخ..

www.alkottob.com

فى أحد أيام يوليو وداخل شقة سكنية بأحد الأبراج بحى فيصل اجتمع عدد من ضباط الجيش والشرطة، يبدو على وجوههم الغضب والإحباط، وبدا على وجه أكثر من واحد منهم ميلا للزعامة وإعجابا شديد بالنفس، يبدو انه اجتماع هام للغاية وبدأ الحديث رائد الجيش ناجى الذى يبدو أنه زعيمهم :

– لقد جمعتكم اليوم بعد أن تأكدت أنكم من أفضل عناصر الجيش والشرطة وبعد أن قام كل منكم بإثبات انتمائه للوطن، ولقد رأيت فيكم النقمة على الأوضاع التي آلت إليها مصر في العهد الحالي من فساد ورشوة ومحسوبية وغلاء، لقد رأيتم كيف قامت الحكومة منذ أيام برفع أسعار البنزين والسولار وكيف ارتفعت أسعار تذاكر المترو

يرد عصام نقيب فى الأمن المركزى:

– هو المترو بس؟ المترو والميكروباص والتاكسيات والعيش بس احنا ايه دخلنا بده انا عن نفسى عربية الشغل بتودينى وتجيبنى أدخل فى المفيد يا ناجى بيه

يرمقه ناجى بحده قائلا:

– وفي الوقت الذي تشن فيه إسرائيل حربا فيه على فلسطين ولبنان وقد نجحت بالأمس في التوغل في الجنوب اللبناني، سكت نظامنا الجبان واكتفى بإدانة نصر الله لقد التحقت بالحربية لأحارب في سبيل وطني ورفعته، ولكنني اشعر الآن أننى وزملائي في الجيش المصري قد أصبحنا كما مهملا نأخذ مرتباتنا لقاء التمرينات التي نقوم بها ونظل قابعين في الثكنات والخنادق الى أن تظهر أى بادرة تحرك من الشعب أو حتى من فئة من فئاته يخرجونا لقمعهم

يقول علاء "رائد شرطة":

– زى اللى حصل من جنود الأمن المركزي في الثمانينيات

يجيبه ناجى:

– أيوه ووقتها بس يمارس الجيش وظيفته التي أرادها المستبد.. ينزل الشارع ويقمع أى انتفاضة للشعب ثم يعود إلى ثكناته

ويرد عصام" نقيب أمن مركزي" :

– مش الجيش لوحده ، شوف الأمن المركزي بقت وظيفته محاربة المتظاهرين وقمعهم بقينا قطاع طرق وهاتكي أعراض عمرى ما هانسى اللى حصل في المظاهرة التي تمت في وسط البلد بعد نتائج انتخابات الرئاسة بقليل ده انا شفتهم بيسحلوا أعضاء حركة كفاية في الشوارع شفت عسكرى بيتحرش بست في عمر أمي .. ويصمت لحظة يختلس خلالها النظر الى علاء ثم يقول:

– تخيلوا ان واحد من ضباط أمن الدولة أمرني بجلب إحدى المتظاهرات إلى مكتبه لأنها عجبته وعندما رفضت بص لى بصة عمرى ما هانساها وفضلت بعدها بعشر شهور أعانى من شروره ومضايقاته لغاية ما اتنقلت الصعيد. يا زملائي الأعزاء أنا مش بأدعى أنى ملاك ده حتى المنصب ياما خدعنى وغرتنى البدلة الميرى وكنت مغرور لغاية ما اكتشفت أن الجهاز الامنى في مصر ليس قمعيا فقط ضد المعارضة لكنه جهاز يقمع بعضه بعضا.

يأخذ ناجى نفسا عميقا ثم يستطرد

– اخوانى لقد طفح الكيل واستبد الغضب واليأس بالجميع وما نحن إلا نبته من تراب هذا الوطن و.....واصل ناجى خطبته المؤثرة بينما جلس "عبد الجبار" في احد الأركان وعلى وجهه ابتسامة ، لقد كان يعلم في قرارة نفسه أن ناجى صادق تماما فيما يقوله وأنه مؤمن بكل حرف يردده ولكن من الذين التفوا حوله؟ هذا الرائد

www.alkottob.com

علاء صاحب الشقة التي يعقد فيها الضباط اجتماعهم، ضابط الشرطة الذي هتك عرض انتصار في معسكر الأمن المركزي حيث كانوا يحتجزونها. أليس هو الذئب الذي ألهم عبد الجبار باغتصابها ؟ هل استيقظ ضميره فجأة؟ أم انه يسعى لطموح أكبر من خلال الحركة الجديدة؟ قطع علاء حبل أفكاره مناديا:

– اعمل لنا شاي يا عبد الجبار

أسرع عبد الجبار الى المطبخ وهو يتعجب من محمود بك بتاع البنات الذى دخل الهوجة بعد ما اتصاحب على بنت من حركة كفاية اسمها ولاء البنت ملهاش في الوطنية ولا التغيير هي بس دخلت الحركة عشان تجيب عريس ولأن كل شباب كفاية هارشينها محدش بصلها غير الضابط الخايب اللى اسمه محمود واللى بقى بيزايد على بتوع كفاية عشان يعجب المزه.

ولا عصام نقيب الأمن المركزي هو كويس وجدع وايده فرطه بيدينى كل ما يقابلني لكن أنا مش فاهم ازاى واحد قزعه زيه ولابس نظارة قعر كباية يبقى ضابط ولا يدخل الشرطة أساسا، الحكاية وما فيها إن أبوه لوا وطبعا لو ابن اللوا ميبقاش ظابط البلد هتخرب. وراح يتذكر عبد الجبار كيف تمت مجازاته وضربه لمجرد اشتباه القيادات انه أرسل بملفات تحوى تجاوزات الشرطة الى صحف المعارضة، بينما لم تتحرك تلك القيادات بعد أن ضبطه رائد علاء في غرفة الاحتجاز مع انتصار بعد أن كان قد فرغ من اغتصابها للتو وكل ما حدث هو أن علاء بيه تفاجأ ثم ضحك قائلا لزميله: اشمعنى هو أهو طباخ السم بيدوقه وبعدها كلما كان يحلو لعلاء بيه أن يفترس انتصار كان يصحب معه عبد الجبار ليسجل بالكاميرا تلك اللحظات وكان علاء بيه يبرر تصرفه دائما بأن هذه الصور ستبقى المزه تحت التصرف حتى بعد خروجها من المعتقل. وسأل عبد الجبار نفسه : هما دول اللى هيحرروا البلد م الفساد ؟؟صحيح أنا كمان مجرم زيهم ومسمى نفسي عسكري الدرك رغم انى عارف إن أنا حراميها لكن مش بادعى انى اسمه إيه ده المنتظر اللي هينضف الكون.. ويصب عبد الجبار الشاي في الأكواب ويتجه إلى غرفة الجلوس ليجد الضباط قد انتقلوا برابطة المعلم إلى مائدة الطعام الخالية إلا من مصحف في منتصفها ويسمع صوت الرائد ناجى:

– لنتعاهد سويا على مبادئ الحق والخير والمساواة من أجل الله والوطن، لنتعاهد على الكتمان والسرية حتى تقوى جماعتنا ويشتد عودها ويأتي وقت النضال.. لنضع أيدينا على المصحف ونتعهد بالإخلاص لجماعتنا الإصلاحية..

ضباط من أجل التغيير..

وترتعد الصينية في يد عبد الجبار ويدخل في روعه أن شيئا كبيرا سيحدث ولكنه لم يتوقع خيرا..

خرجت انتصار من الاحتجاز فى أحد معسكرات الأمن المركزى إلى لاظوغلى حيث بقيت ثلاثة أيام أسود من ليالى الشتاء ثم أطلقوا سراحها ، أخذوها فى نفس السيارة التى اختطفت فيها ثم ألقوا بها إلى قارعة الطريق وكان الوقت متأخرا للغاية ولم تدر أين تذهب هل تذهب لأمها ؟ ترى كيف تحملت أيام الغياب وما الذى حدث لها؟ ترى هل علم والدها بغيابها وارتعدت لمجرد احتمال ان يكون علم بغيابها تلك الأيام السبعة. نظرت انتصار الى السماء ثم اختنقت بالدموع وفتحت حقيبة يدها التى تقطعت فى أيديهم أثناء التفتيش وبالطبع لم تجد النقود لكنها وجدت مفاتيحها وكان بينها مفتاح شقة خالها والتى كانت تذهب اليها كلما أحست بالقهر ولأن الوقت كان قد تجاوز منتصف الليل رأت انتصار أن لامكان لديها إلا تلك الشقة وذهبت متجاوزة مضايقات

www.alkottob.com

أطفال الشوارع وراكبى السيارات الفارهة ونظرات البواب وشهقات زوجته عندما رأوها وقد تمزقت ملابسها وازرق وجهها وما ظهر من جسدها وطار حجابها من فوق رأسها وظهر شعرها أشعث ومتمزق مثل روحها وجسدها وفتحت باب الشقة ثم دخلت وصفقت الباب خلفها. وخلف الباب افترشت الأرض ونامت عشرساعات متواصلة واستيقظت لتجبر نفسها على النوم مرة أخرى وعندما استيقظت بعد خمس ساعات اتجهت بجسد مثقل إلى أقرب مرآه لتشيح بوجهها على الفور والدموع فى عينيها كانت تلك أول مرة ترى فيها وجهها منذ أيام ولم تره فى حياتها بهذا القبح وكأنها ترى فى كل كدمة تفاصيل العذاب الذى لاقته والأهوال التى رأتها ، كأنها تسمع من جديد كل سبة وكل كلمة جارحة ، كانها تشعر من جديد بكل الأنياب والأظافر التى نشبوها فى جسدها المستباح. لقد نسيت شعور الخجل بعد أن مزقوا حجابها فى سيارة الشرطة قبل وصولها الى مقر الاحتجاز ولكنها تتذكر جيدا الهلع والرعب وجسدها يتعرى بين أغراب .. مازال البرد يلسعها فيصيب جسدها بالرعشة ويسلمها لحالة لا نهائية من الغثيان والدوار والضياع. لم يستجوبها أحد ولم يوجه لها اتهام ولم يحاولوا انتزاع اى اعتراف منها فقد حاكموها واتهموها وما كان الخطف إلا لتنفيذ الحكم الذى أصدره هؤلاء الذئاب .. لو أنهم فقط حققوا معها لكان عذابها قد هان ولكانت بررت لنفسها ما تحملته بأنه ثمن لرأيها وحريتها .. لطالما سألت نفسها قبل اختطافها هل ما تفعله حبا للوطن أم سعيا وراء الشهرة أم تحد غير مباشر لقهر والدها لها ؟ أما بعد اختطافها كان هناك شعور واحد ترسب بداخلها وهو أنها كانت تستعرض جسدها فى ميدان المظاهرات حتى أعجبتهم وأن ما فعلوه لم يكن إلا تجاوبا مع رغبتها المدفونة وردا على رسالتها غير المعلنة وأما المرآه وقفت تسأل نفسها:

- معقول؟ معقول أكون رخيصة كده؟ مش ممكن بس لو انا مش رخيصة ولو انا خطر فعلا على أمن الدولة ولو أنا مناضلة حقيقية مش كانوا حتى استجوبونى على الأقل؟

كادت انتصار أن تفقد عقلها واتجهت إلى الغرفة الصغيرة والتى كانت تبيت فيها وخالها على قيد الحياة والتقطت بذلة محتشمة كانت قد اشترتها بعد ارتدائها للحجاب – والحقيقة أن ملابسها كانت غالبا محتشمة أو تميل إلى الاحتشام حتى قبل الحجاب– ولكن البذلة نظيفة أما هى فلم تعد كذلك .. ترى أى ماء ذلك الذى سيطهر كل هذا الرجز؟ إنها تحتاج أن تغتسل فى الجحيم لعلها تتطهر وارتدت البذلة بدون استحمام وتناولت غطاء للرأس ووضعته بلا عناية فوق شعرها وغادرت..

www.alkottob.com

الفصل الثانى

هبطت هدى من التاكسى الذى كانت تستقله ونظرت إلى مقر نيابة أمن الدولة وهاجمتها ذكريات يوم الاستفتاء المشئوم وما حدث لها ثم كيف أغلقت القضية دون الوصول إلى الجناة رغم أنهم كانوا معلومين للجميع وكيف تلوثت سمعتها وكادت تبقى بدون زواج إلى الأبد لولا أن تقدم لها أحد زملائها فى قسم الإعلانات فتزوجته رغم كل تحفظاتها عليه لتعيش حياة أقرب للجحيم وها هى الآن تقف أمام مكتب عماد الذى أصبح وكيلا لنيابة أمن الدولة فى صيف ٢٠٠٦ وطلبت من العسكري الواقف على باب المكتب الدخول:

– أنا عندي ميعاد مع عماد بك، بلغه إن الصحفية هدى قدرى من جريدة الرأى فى انتظاره

و يرد العسكري بحماس واحترام:

– سيادته سايب خبر يا افندم .. اتفضلي

وتنظر هدى خلفها فى فزع شاعرة بأن يدا ما تنتهكها من الخلف ثم تدرك أنها تهيؤات كالعادة ..تهيؤات تقتحمها منذ اليوم المشؤوم عندما انتهكها الأمن فى الشارع و دخلت هدى ليقف عماد وفى عينيه إعجاب قديم يتجدد ، يمد يده مصافحا فتمد يدها ليأخذها ويلثمها قائلا:

– آخر مرة شفتك كان من سنة تقريبا.. تضحك في دلال وتقول:

– انت لسه فاكر يا عماد بك

– هو اللي في جمالك تتنسى؟ الشعر الأصفر والعيون الخضرا والـ .. إحم

تبتسم ولا ترد فيبادرها بالسؤال عن زميلها المصور:

– زميلك المصور عامل إيه دلوقت؟

– محمد؟ الحمد لله ساب المستشفى تسكت برهة وتنظر في عيني عماد قائلة:

– وساب الجريدة برضه

– راح جريدة ثانية؟

– لا اشتغل مصور فنانات.. رقاصات بمعنى أدق

ينظر لها عماد في دهشة فتجاوبه قبل أن يسأل:

– الحقيقة محمد شاف إن شغل الصحافة مش جايب همه غير إن الرقاصات هيعرفوا يحموه كويس ويجيبوله حقه لو حد اعتدى عليه واهى ماشية معاه اشترى شقه صغيرة وعربية يعنى..

– وانتى يا هدى؟

– أنا اتجوزت من شهرين وحصلت أخيرا على عضوية النقابة وجاية دلوقت بتكليف من رئيس قسم الحوادث عشان اعمل مع حضرتك ريبورتاج عن أظرف الجرائم اللى قابلتك في تاريخك المهني وبلهجة ساخرة تكمل:

– باعتبارك واحد من أنزه رجال النيابة في مصر.. تصله سخريتها لكنها لا تؤلمه.. نعم لقد أقفل القضية الخاصة بهتك عرض الصحفيات في الشوارع يوم الاستفتاء وقيدها ضد مجهول لكنه نال أكثر مما كان يحلم وتم نقله الى نيابة أمن الدولة ونال ورضا قياداته عنه.. ولو لم يوافق على أوامرهم كانوا سيعاقبونه وسيأتي من بعده من يتنازل ويقبض الثمن..لم ينس إلى الآن تفاصيل الاتصال الهاتفى الذى جاءه من قيادة كبرى فى

www.alkottob.com

وزارة العدل تأمرة بإغلاق ملف قضية التحرش العنى بصحفيات وناشطات فى يوم الاستفتاء مقابل ترقيـــة لا يحلم بها وعندما حاول الاعتراض هدده المسئول بمجازاته ونقله الى آخر الدنيا ولم يتردد عماد كثيرا فى نفس اليوم كان قد حسم رأيه وفى أقل من شهر كان قد نقل الى نيابة أمن الدولة يبتسم فى مرارة قائلا فى سره :

– هى دى مصر يا هدى!!! وسألته هدى عن الكاتب الذي كان معه منذ عام فيقول دون أن يرفع عينيه إليها:

– اتفصل .. ضبطوه بياخد عشرين جنيه رشوه ففصلوه.. وتصمت هدى فى ذهول.. ثم تعلق: – هـــى كـــده دايما اللى بيسرق لقمة هو اللى بيتمسك، واللى بيسرق طابونة العيش كلها بيفلت بالفرن واللى فيه وتكمل فـــى سرها:

– وبيترقى كمان

ينظر إليها فى غضب فتغير الموضوع وتشغل جهاز التسجيل وتبدأ العمل

www.alkottob.com

..فى صيف ١٩٩٣ وفى كفر المساطيل في الصعيد في منزل عبد الجبار كان والده" مظلوم" في غرفة نومه يرتدى جلبابه الأبيض ويستعد للخروج، بينما كانت " ستهم" أم عبد الجبار تنوح وتلطم خديها بعد فشل محاولاتها لإثناء زوجها عن الخروج الى مشواره، وهدأ مظلوم من روعها قائلا:

– يا ستهم "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" وبعدين هو أنا رايح أحارب يا وليه؟

– حرام عليك يا مظلوم.. إحنا عايزينك يا اخويا .. عبد الجبار لساه صغار

– عبد الجبار راجل من ظهر راجل.. أنا عايزه لما يكبر يتباهى بأبوه .. سيبينى بجى عشان ألحج الناس اللى مستنظرين في الغيط

ويندفع مظلوم الى غيط "عنتر" الذي يريد المأمور وضع يده عليه بحجة أنه "مش ملك حد"، وذلك بعد أن أعلن عنتر المسكين أن هناك دفينة "قبرا فرعونيا" تحت غيطه وبالطبع لم يصدقه أحد من البلد أولا لان البلد بأكملها لا يوجد بها دفينة واحدة والكثير حاولوا ولم يعثروا على اى شيء، وثانيا لأن عنتر المسكين كلامه كله نخع وفشر فهو أفقر وأقبح واضعف خلق الله مما كان يدفعه لاختلاق الكذبة تلو الأخرى لكي يلفت الأنظار. ولسوء حظه سمعه "أبو شناف" شيخ الغفر في القرية الذي كان مكلفا بحماية البلد والزرايب في فترة الليل والمعروف بتحالفه مع اللصوص والحكومة على حد سواء، وبالطبع كان أبو شناف غريبا عن البلد بلا أرض ولا جاه وكان يأمل أن المأمور عندما يستولى على قيراطين الأرض بتوع عنتر ويكتشف أنه ليس بها كنز ولا يحزنون فسوف يبيعها بثمن زهيد وبهذا يشتريها أبو شناف بسعر رخيص ويذل أهل القرية الذين رفضوا أن يبيعوا لابو شناف قيراط أرض واحد.

وصل مظلوم بملامحه الطيبة وقامته المفرودة إلى غيط عنتر ليرى عساكر الأمن المركزي تحاصر الغيط وتهدم عشة عنتر الذي انخرط في البكاء وراح يحط من طين الأرض على رأسه وهو يصرخ:

– وشرف أمي يا سيد بيه الأرض مفيهاش مساخيط، أنى كنت بافشر يا باشا، الأرض مفيهاش مساخيط غيري يا باشا، أنى المسخوط الوحيد الى فيها يا باشا.. خدونى وسيبوا الأرض يا عالم.. غيتونى يا هووه

ويميل "سيد" بيه – المأمور– على قائد قوة تنفيذ الأحكام وعلى وجهه ابتسامة صفراء بغيضة قائلا:

– الواد ده أصله مجنون يا باشا والبلد كلها عارفة مش كده يا عمدة؟ يرتجف العمدة "عبد الملك" وينظر بشفقه على الفلاح المكلوم ثم يشيح بوجهه وهو يقول :– ايوه يا باشا ده مجنون ابن مجنون. ويقول المأمور وهو ينظر في ساعته:

– عموما أنا كلمت اللي هيعقلوه وزمانهم جايين.. في نفس اللحظة ينجح مظلوم في اختراق الحاجز الامنى ويهتف بأعلى صوته:

– هو اللي يدافع عن حقه في البلد دى يبقى مجنون يا سعادة المأمور؟

يرتعد المأمور قليلا ثم يتذكر أنه محاط بقوات الأمن التي ستحميه من أى اعتداء فيتقدم نصف خطوة ويحاول رفع صوته بقوة:

– إيه اللي جابك الساعة دى يا مظلوم ؟ متدخلش في اللى ميخصكش

– اللي بيحصل لعنتر يخصني ويخص كل نفر في البلد دى.. اللي بياخدوا أرضه النهار ده بدون وجه حق ممكن بكره ياخدوا أرضى أو أرض اى حد تانى.. اتقى الله يا سيد بيه النجوم اللي على أكتافك اللي انت وريتهالنا في عز الظهر مش هتنفعك يوم العرض عليه

– بقى انت يا شيوعي بتفكرنى بربنا؟

ينظر مظلوم للناس لأهل القرية ويصرخ فيهم:

www.alkottob.com

– يا أهل بلدي أرض عنتر عرضه وعرضه عرضكم.. هتسيبوا المأمور يهتك عرضكو؟
وتندفع صيحات الغضب من أفواه أهل القرية المسلحين بالشوم ويتجهون نحو قوات الأمن في غضب عيونهم تلمع بالإصرار وأذرعهم السمراء ترتفع بالشوم ..لونهم كلون طمي النيل.. واندفاعهم كتدفقه في الفيضان..
ومن بعيد وقف عبد الجبار الصامت دائما وعيونه تكاد تنطق فخرا بوالده الشجاع.. ويهزه الزعيم قائلا: أبوك ده ولا شجيع السيما يا عبد الجبار.. وينتظر الصبية الموقعة الكبرى ولكن تأتى اللحظة غير المنتظرة .. لحظة يبدو أن الزمن قد توقف فيها لحظات.. تجمدت الأذرع السمراء على الشوم انطفأت شمس الإصرار في العيون.. وسكنها ليل الخوف عندما هبط من سيارتي الأمن المركزي عشرات الجنود فيما يشبه جيشا صغيرا انضم إلى الجنود الذين كانوا يحاصرون أرض عنتر ، في نفس اللحظة التي اخترقت سيارة بيضاء الجموع متجهة نحو المكان ونزل منها طبيب ورجلان شديدان ومعهما ما يشبه الملاءة البيضاء وأشار لهما المأمور إلى حيث انبطح عنتر أرضا .. وكان مظلوم هو أول من أدرك الموقف فصرخ في الناس:
– يا ناس.. يا أهل بلدي اجمدوا الى يحارب عشره يحارب عشرين .. الباشا جايب الدكتور عشان ياخدوا عنتر على مستشفى المجانين.. ده إحنا منبقاش رجاله لو أخذوه من وسطنا ويرفع زكى شومته ويهوش بها يمينا ويسارا لإبعاد رسل العباسية عن عنتر المسكين ولكن العمدة يضربه على ذراعه فوقعت الشومة من يده وعندما هم بالتقاطها اخرج المأمور مسدسه من خلف ظهره وراح يطلق الرصاص في الهواء وأمر قائد قوة تنفيذ الأحكام الجنود أن يضربوا في المليان إذا اقترب احدهم من الأرض أو من المأمور، ويقترب أبو شناف ببطء من مظلوم الذي وقف من جديد على قدميه وراح يركض باتجاه عنتر الذي كف عن البكاء وصار كالطفل بين يدي من حملوه من تأثير المهدئ الذي حقنوه به ولكن عيناه ظلت مذهولتان خائفتان ويداه ضارعتان تناديان مظلوم الذي حاول اللحاق به دون أن يستطيع ونادى على الناس أن يثبتوا ولكنهم كانوا قد تفرقوا بالفعل قلم يعد هناك أحد سواه في داخل الدائرة الأمنية الجهنمية وينظر أبو شناف الى المأمور وكأنه يأخذ منه إذنا بعمل شيء ما وعندما أخذ الإشارة هتف بأعلى صوته:
– الحقنى يا باشا مظلوم معاه مسدس..ويستدير عساكر الأمن المركزي ليواجهوا خطر مظلوم الأعزل بطلقات الرشاشات وتندفع الدماء خارج مظلوم وكأنها تثور في وجه من غدروا به، ويسقط مظلوم ببطء وعيناه مثبتتان على وجه " عبد الجبار" الذي اكتسى وجهه بذهول ظل مرسوما على وجهه شهورا طويلة وبنظرة أخرى لا يمكن أن يرمق بها ولدا والده الذي يحتضر ..
لقد كانت نظرة لوما وعتابا.. عتاب ظل في داخله طيلة حياته وشعور أن والده قد عشمه وخلى به.. إن والده ركب فرس البطولة وهو غير جدير به .. لقد كان يفخر بوالده كثيرا وها هو والده يسقط جثه في الوحل أمام أهل البلد جميعا.. أهل البلد الذي مات من أجلهم.. أهل البلد الذين تخلوا عنه وتركوه يواجه الموت وحده.. من اليوم صار أهل البلد أعداءه.. وفى داخله ترددت كلمة واحده:– يا ويلكم منى يا أهل كفر المساطيل.

فى ٢٠٠٦–٠٧–٢٤ وفى حوش ليمان طرة – حيث تم نقل عبد الجبار لمهمة محددة وهى مراقبة أحد المعتقلين عن كثب وانتظار الأمر بتصفيته– جلست مجموعه من شباب المعتقلين فى حوش الليمان يتناقشون فى الأمور السياسية ويلقون بالدعابات بين الحين والآخر، وهم: "عادل" المهندس اليسارى الذى ينتمى إلى أسرة متوسطة تعيش فى امبابة، مثقف جدا ومتفانى فى سبيل مبادئه لأبعد الحدود، وسامى عضو حركة الإخوان المحظورة ، ابن الوجه البحرى الذى جاء ليشارك فى إحدى مظاهرات كفاية فتم اعتقاله، ومعهم

www.alkottob.com

جلس وائل الصحفى الليبرالى الذى تمت محاكمته بسبب مقالة كتبها عن الظلم والديكتاتورية اعتبرها النظام إهانه له، وإلى جوارهم جلس "النمنم" شاب نصف أمى مرح لا يمل الدعابات قرر الاستفادة من الأفندية المتعلمين والسير فى ركابهم أملا فى أن يخرج من طرة بطلا بعد أن دخله لصا، والغريب أنه لم يتم القبض عليه وهو يسرق بل لأنه كان يراقب فى إعجاب أعضاء حركة كفاية المشاركين فى إحدى المظاهرات وكانت تلك أول مرة يرى فيها النمنم مظاهرة و اعتقد العسكر أنه مع كفاية فاعتقلوه معهم. وكان النمنم دائما يتندر بين زملاء المعتقل:

– أنا من يوم ما اتولدت وانا باسرق مفيش مرة اتعملى محضر ولا اتاخدت تحرى قوم لما أقف فى مظاهره لأول مرة فى حياتى وعشان اتفرج مش عشان اتظاهر قوم يعتقلونى؟ طب وحياة من خلق العالم دول بالغباوة دى كلها لاكون معارضهم من هنا ليوم القيامة كرامة لمخهم الضلم. ويضحك عادل قائلا:

– انت ايه اللى رماك ع السرقة يا نمنم؟ يتنهد نمنم ويتحسس شعره الذى أطاله ليقترب من كتفه قائلا:

– يعنى يا باشمهندز عادل واحد أبوه جه م العراق جثه فى صندوق بعد سنين غربة ويا ريته جه ومعاه حاجه إلا يا مولاى كما خلقتنى، وامى عرفت السكة، اللقمة اللى هيجيبها الحلال مش هتشبع عيالها باعت نفسها بعقد عرفى لواحد عجوز من الخليج على أمل انه يتكفل بيا وباخواتى خدها على بلده قعدت معاه سنتين مشافتناش ولما نزلت بمعجزة ومعاها ميتين دولار ماتت تانى يوم فى فرشتها. واحد زيى كان هيطلع ايه يعنى..عالم ذرة؟

ويشارك سامى فى الحوار قائلا:

– احنا لازم ان شاء الله نعمل قعدة طويلة كل واحد فينا يتكلم فيهاعن حياته وعن اللى رماه على المعتقل.

وينضم الشاعر الشاب على إلى الجلسه ويشاغبه وائل قائلا:

– أهلا بشاعر البادية..يا ترى مين آخر ملهمة كتبت فيها شعر فى زنزانة الأنس؟

تنحنح على قائلا:

– الحقيقة هو ملهم مش ملهمة؟.. ويضحك الجميع متسائلين من هو فيجيب:

– هتعرفوه لما تسمعوا آخر كتاباتى.. اسمعوا..

يا عسكرى الدرك أفزعنى منظرك.. ويضحك الجميع ليواصل على:

يا عسكرى الحكومة بينك وبينى تار

دم البلد والنيل والأرض والثوار

.. وتحتبس الكلمات فى حلق "على" عندما يلمح الجمود الذى أصاب أعين زملائه والتى تصلبت جميعها خلف ظهره ويستدير على ليرى وجه عبد الجبار الدميم ثم فقد وعيه إثر لكمة قوية فى وجهه قبل أن يتم اصطحابه إلى زنزانة التأديب أو ما يعرف بالحبس الانفرادى.

ويقول النمنم:

– انتو مش ملاحظين يا جماعة إن الجدع اللى اسمه عبد الجبار مبيتكلمش خالص .. أنا كنت فاكره اخرس لولا انى سمعته بيشتم واحد من الجدعان المعتقلين الجدد.

يرد عليه عادل:

– الشىء اللى محيرنى ايه اللى يخلى عبد الجبار واللى زيه يكونوا بالقسوة دى رغم ان المفروض انهم غلابه ومطحونين ومن الشعب الغلبان.. ويرد سامى الاخوانى:

– اللى معندوش دين يعمل أكتر من كده.. أنا عمرى ما شفته بيصلى

www.alkottob.com

وهنا يقول عادل فى لهجه ساخرة:

–هل تعتقد يا شيخ سامى أن المدعو أبو لهب–عفوا– عبد الجبار ملحد؟ ودون أن ينتظر الإجابة يكمل فى سخرية:

– ما تدعيله يا بركة يمكن ربنا يهديه ويشهر إسلامه.. ويرفع سامى اصبعه محذرا:

– يا أخ عادل أنا قبل كده حذرتك من أسلوب الاستهزاء ده أنا مبسخرش من مبدأك يا أخى عشان انت كل شويه تسخر منى ومن مبادئى.. رغم ان مبادئك مغلوطة وبعيدة عن روح الدين.. ويضحك عادل مستنكرا:

– هو انت عندك مبادىء بجد يا سامى؟.. وقبل أن يرد الاخوانى الشاب الذى احمر وجهه وراح يرغى ويزبد قام نمنم باصطحابه بعيدا بحجة الاستفسار عن بعض الأشياء الشرعية وذلك حتى يمنع صداما محتوما بين الناشط اليسارى وعضو الحركة المحظورة. وتنتهى الفسحة ليعود المعتقلين إلى زنازينهم. وفى الزنزانة يسأل النمنم سامى :

– قول لى يا شيخ سامى هو السلام على المسيحيين باليد حرام؟

فيجيبه سامى بلهجة الخبير:

– لا.. لكنه مكروه ويجب أن يبدأ هو بالسلام وخذ بالك يا نمنم أن السلام على مسيحى ينقض الوضوء.. وهنا يمتعض وائل بشدة ويقول بانفعال:

– أنا قرأت فقه السنة بكامل أجزائه ولم يرد فيه أن السلام على المسيحى يعتبر من نواقض الوضوء ..وهنا يثور سامى هاتفا:

– يعنى انت هتعرف أكتر منى؟ ويهم وائل بالرد عليه لولا أنهم يسمعون أصوات العسكر خارج الزنزانة فيصمت الجميع

www.alkottob.com

جلس عبد الجبار وعلامات الضيق مرتسمة على وجهه، لقد كان الكثير من الغضب والحنق يملأ صدره تجاه "على" إنه لا يدرى لماذا يسخر هذا الخنفس منه؟ ثم ما نوع الثأر الذى تحدث عنه ؟

–هياخد تاره منى آنى؟ طب ما ياخده من علاء بيه الظابط اللى عمل فلوس كتير ولا من صاحبه عماد بيه وكيل النيابه؟ لكن ياخد تاره منى انى؟ انى عبد المامور اضرب يا عبد الجبار أضرب، صور انتصار وكتفها على ما اخلص أنفذ. ذنبى انى إيه؟

وفى داخله المريض يتيقن عبد الجبار ان على لا يختلف عن أهل القرية الذين باعوا والده وتركوه يقتل أمام اعينهم..وسافر عبد الجبار فى احلامه بوعد علاء بيه له اذا نجحت الحركة بتاعة ضباط من اجل التغيير انه سيعينه السكرتير الخصوصى له..

– آه ماهو اللى زى علاء ده ممكن ينط على أى وزارة بسهوله لو عملوا جلبان ولا شجلبة لنظام الحكم ..أما تبقى البليه لعبت معاك يا عبد الجبار!..ويسمع عبد الجبار صوت على وهو يصرخ صرخة مكتومة حيث يبدو أنه اصطدم بإحدى حشرات الزنزانة.. وفى داخله يضحك عبد الجبار: – أنى أول ما شفت الواد ده قلت انه خنفس حجيجى.. واد خرع صحيح.. كل بتوع الكلام كده خرعين بيجعجعوا ع الفاضى والناس العبط بيصدجوا ويمشوا وراهم والكلمنجيه الأعبط بيفتكروا ان الناس هتنفعهم لكن الناس الجبانة المنفوخين هوا ومشحونين كلام بيسيبوا الكلمنجيه يغرجوا اول ما بييجى الطوفان، بس مش كل الكلمنجيه بيغرجوا يا واد يا عبد الجبار ما عمدة بلدكو كلمنجى ووعوده كدابه واهو فضل عمده لحد ما مات.. وتسافر ذاكرته مرة أخرى الى بلدته

فى أحد الايام بعد مقتل والده بشهور قليلة تلقى "عبد الجبار" دعوه شفاهيه من رجال القرية لحضور جلسه مهمة، وينظر عبد الجبار الى الزعيم زميله الذى أبلغه الرسالة ثم يهز رأسه ويسأل:

– عايزين ايه منى؟ يرد الزعيم:

– مخابرش لما تيجى هتعرف.. وهنا تتدخل ستهم هاتفة:

–انتو عايزين ايه م الواد مش كفاية ابوه.. حلوا عنا بجة كفاية مرار..وتطرد الزعيم من الدار.. ويبدأ الصراع داخل عبد الجبار هل يذهب؟ انه لا يطيق النظر إلى وجوههم الكئيبة، ولكن ماذا يضيره لو ذهب؟ من الممكن أن يذهب لينفجر فى وجوههم غضبا ليصارحهم بجبنهم وان مفيهومش راجل.. فى النهاية يقرر ألا يذهب .. ويقرر أيضا ترك المدرسة .. سيراعى أرضه ويكسب حريته لقد كان يسير متعثرا فى دراسته حتى يرضى والده أما الآن فقد مات والده .. والده الذى خدعه وغرر به ثم تركه ورحل.. إن مظلوم الذى عشق القراءة والكتب جلب عليه العار والمرار .. ان مظلوم ضعيف وهو يريد أن يكون قويا مثل عبد الملك وابو شناف الذى حاز الان ارض عنتر واثنان اخران من الفلاحين.. ويقطع حبل أفكاره دق على باب الدار يقوم ليفتح ليجد إمام زاوية الإخوان.. ان عبد الجبار يعرف انه من الاخوان وان كان لا يعلم على وجه الدقة ما الذى تعنيه كلمة الإخوان، يقول الامام:

– السلام عليكم ورحمة الله يا عبد الجبار

– وعليكم.. فيبتسم الشيخ قائلا:

– إذا حييتم بتحية فردوا بمثلها أو بخير منها

و بدا على عبد الجبار عدم الفهم وعدم الاكتراث بالفهم فسأله الرجل:

www.alkottob.com

– ممكن ادخل؟

افسح عبد الجبار الطريق له قائلا فى فتور:

– اتفضل

وجلسا في المضيفة ليخرج الشيخ من جيبه مبلغا من المال ويناوله اياه

– اتفضل يا عبد الجبار دول ميت جنيه يساعدوا ع المعايش يا ولدى

و تلمع عينا عبد الجبار ويقول في سره : ميت جنيه حته واحده؟

يأخذ عبد الجبار النقود ممتنا ثم يطلب الشاي للشيخ الذي عرض خدماته على عبد الجبار ويؤذن للصلاة المغرب فيدعو الشيخ عبد الجبار إلى المسجد ليصلى جماعة:

– أصلى لمين يا شيخ؟.. فأجابه الشيخ باندهاش:

– لربنا يا ولدى

– طب روح أنت وأنا وراك على طول

وينصرف الشيخ إلى الجامع لكن عبد الجبار لم يذهب خلفه فمن اللحظة التي قتل فيها والده فقد إيمانه ليس بوالده ولا بأهل قريته فقط لكنه فقد إيمانه بكل شيء لم يعد لديه شيء مقدس .. لو كان هناك إله عادل في السماء لما حدث لوالده ما حدث ولما أخذوا أرض عنتر منه ولا ادخلوه السرايه الصفرا ظلما وعدوانا.. لمن سأصلى؟ ويعطى عبد الجبار نصف المبلغ لأمه بينما يخبىء النصف الآخر معه.. وفرحت ستهم وقتها بما اعتقدته عقلانيه من ولدها حيث ابتعد عن هذا الشيخ الذى قضى نصف عمره معتقلا دون أن تكلف نفسها بإعادته إلى نفسه وإلى دينه.. لقد اعتبرت رفضه لدعوة الصلاة جماعة عقلا دون أن تدرك أن ولدها رفض الصلاة مع الإخوان كفرا برب الإخوان لم تدرك المسكينة أن ولدها قد صار عبدا لإله آخر..

مر عامان على عبد الجبار وهو يعمل فى حقله الصغير، يتجنب أهل البلد ويتحاشى الصدام مع الأعيان، وفى رحلة بحث عبد الجبار عن النقود باع كل كتب أبيه والتى لم يفاجأ أن سعرها لم يتجاوز عشرون جنيها، لقد كان أبوه يتحدث عن الكتب وكأنها كنز وهو قد عرف أن والده كاذب منذ سقط مضرجا فى دمائه، ولأن المثل الاعلى للصبى الصغير قد سقط ، فقد قرر البحث عن قدوة أخرى ، وكان من أعاجيب الزمن أن تكون قدوة عبد الجبار ابن المناضل اليسارى بطل العصيان المدنى هو العسكرى المتجبر رمز القهر العسكرى.. وأتى زمن يقتدى فيه ابن القتيل بقاتل ابيه.. ترى هل يقع اللوم على أبو شناف خفير الحكومة؟ أم على مظلوم الذى ضحى بنفسه من أجل حفنه من الجبناء؟ أم أن المشكله فى عبد الجبار نفسه وراجعه لخلل ما فى تفكيره؟ عندما قص على قصة تتلمذه على يد أبى شناف لم يطاوعنى قلبى أن القى باللوم على عاتقه، فكيف ألومه على خلل فى تفكيره فى بلد اختلت فيه كل الموازين؟ كيف أقنعه أن أباه بطل وهو يحتفظ بالجريدة التى نشر فيها خبر مصرع والده تحت عنوان " مقتل أحد الاشقياء فى مواجهات مع الأمن"، كيف أصارحه ان أبو شناف هو الشيطان وهو يراه مستمتعا فى جنات مصر متربعا على عروشها، ففى كل قرية هناك أبو شناف ، وفى كل مؤسسه هناك عبد الملك.

وفى أحد الأيام كان عبد الجبار يستريح قليلا من العمل فى الغيط، وبينما راح يقتات بكسرة خبز و قطعه من الجبن القديم لمح من بعيد عسكرى الدرك "أبو شناف" وارتجف عبد الجبار، إنه يعلم أن أبو شناف لا يحمل فى قدميه إلا الخراب فأسرع يجرى باتجاهه ليصل اليه قبل أن يصل إلى حدود الغيط، ووقف عبد الجبار ينظر إلى الخفير العملاق بمزيج من الرهبة والانبهار وفى داخله سؤال:

www.alkottob.com

– بجى مكانش ده يبجى ابويا؟ ده مكانش حد فى البلد داسلى على طرف، ويربت أبو شناف على كتف عبد الجبار بيد من حديد قائلا:

– والله أرضك حلوه يا واد .. وزرعتك تفرح بصحيح.. لما تبيع المحصول انا ليا النص.. وتجف الكلمات فى حلق عبد الجبار لقد جاء الدور على أرضه ولا يدرى لماذا ترددت آخر كلمات والده فى أذنيه لحظتها؟

– يا اهل بلدى أرض عنتر عرضه وعرضه عرضكم.. هتسيبوا المأمور يهتك عرضكو؟

ولكن هذه المرة لم يكن المأمور ، انه ابو شناف، وعبد الجبار لا يستطيع ان يقول له لا ولكنه أيضا لا يقدر على التفوه بكلمة "موافق". لقد بلغ عبد الجبار الحلم وفى بلدته الصغيره لابد أن يمر الرجال بتجربة أولى لا مهرب منها والتجربه هى أن تقول نعم وقلبك يقول لا، أن تبتسم فى وجه الظالم والكره والحزن يثوران بداخلك، تجربة كظم الغيظ. النظام كده فى البلد دى الراجل العاقل اللى عايز يعيش هو اللى يكظم غيظه، كظم الغيظ هو موضوع خطبة الجمعه التى يلقيها امام وزارة الاوقاف بعد كل مصيبة تحدث فى البلد، كظم الغيظ والعفو عند المقدرة هو عنوان وموضوع خطبه الجمعه التى تلت قتل والده بيوم واحد،تداعت كل هذه الأفكار فى ذهن الصبى وهو يهز رأسه بوهن هزة الموافقه موافقه من لا يوافق ولكنه لا يملك أن يقول لا ، ولم يدر عبد الجبار يومها أن هذه ستكون الخطوة الأولى فى سلسلة موافقات وتنازلات لا حصر لها..تنازلات فشلت أن تعلمه الغضب والثورة على من قهره ولكنها نجحت ببراعة فى تحويله إلى عباده القهر وتقديس الظالم حتى أهمل أرضه وكره فأسه وصار حلم حياته أن يكون مثل أبو شناف العسكرى القوى الغنى، إن عبد الجبار يعشق النقود ولقد تعلم أن القوة تاتى بالنقود: لو أنه قوى فإنه لن يضطر للعمل، سيترك الضعفاء يعملون ويكدون ثم يأخذ منهم ما يكفيه، سيذل من تخلوا عن أبيه ، وفى داخله تبلور القرار، لقد قرر عبد الجبار أن يبيع أرضه لابو شناف على ان يكون غفيرا معه وبالفعل ذهب عبد الجبار إلى شيخ الخفر أو عسكرى الدرك كما كان يحلو لأبى شناف أن يسمى نفسه عارضا بيع الغيط بالثمن الذى يحدده شيخ الغفر على أن يقبله معه فى خدمة الدرك وحراسة الأرض والمواشى ليلا.ولكن العرضحالجى صاحب شيخ الغفر يقول له:

– انت لسه قاصر هتبيع ازاى؟ مين الوصى عليك؟

– أمى؟ ويلتفت ابو شناف لرفيقيه

– مين أمه ؟ ويجيبه أحدهم :

– ستهم بنت ابو اسماعيل الكلاف.. ثم يميل على أذنه هامسا بصوت كالفحيح:

– كانت أجمل بنت فى البلد

ويأتيه الأمر العسكرى الأول فى حياته:

– خدنى لامك يا ابن مظلوم

يصل أبو شناف إلى منزل المرحوم مظلوم مع عبد الجبار فى الساعة الثانية عشر منتصف الليل، كانت البلد كلها نائمة كأنما ماتت منذ عشرات السنين، يهم عبد الجبار بدق الباب ليلفت انتباه أمه الى وجود ضيف معه، ولكن تسبقه يد أبو شناف فتفتح الباب عنوة، يدخلا إلى حوش المنزل يبدو أن ستهم كانت نائمة غافلة عما حولها، يقف عبد الجبار ذو السبعة عشر ربيعا وبداخله قيودا لا يراها لكنه يشعر بثقلها فوق كاهله.. وهتف به أبو شناف فى خشونة:

– روح صحيلى أمك

www.alkottob.com

وذهب عبد الجبار ليوقظ أمه ويبلغها ان ابو شناف قد جاء ليأخذ منها حجة الأرض، فضربت أمـــه صـــدرها بكفها وقالت وهى تلطم :

– هتبيع أرض ابوك يا واكل ناسك؟ ده ابوك اللى كنت باجول عليه مجنون معملهاش..

– يا امه أنى هابجى عسكرى كد الدنيا .. هابجى زى ابو شناف

– يا ولدى ابو شناف العسكرية ممكفياهوش رايد يكوش على أراضى البلد كلتها.. فوج يا ولدى أحب علـــى يدك

ومن الخارج يسمع عبد الجبار نداء قائده فيخرج ليتلقى الأمر العسكرى الثانى:

– امسك نوبة الحراسة لحد الفجر .. مبروك انت م الليله دى عسكرى الدرك الثانى فى البلد

– لكن يا ابو شناف ..

– ابو شناف حاف كده.. انى حكمدار البلد يا غبى

– يا حكمدار البلد امى لوحدها فى الدار .. ومينفعش اسيبكو ل.... تخرسه لطمة قويه على خده:

– جرالك ايه يا ابن مظلوم انت هتنسى روحك وتعمل زعيم زى ابوك، ده انى عسكرى الدرك اللى بـــاحمى البلد كلها يعنى امك فى أمان معايا وانى هاخد الحجة منها وامشى على طول انى مش فاضى، ثم يخرج مـــن جيبه ألف جنيه يدسها فى يده

– وادى ثمن الأرض مجدما

ويخرج عبد الجبار لكنه يظل يحوم حول بيته بمسافه تسمح له بسماع صريخ أمه لو استغاثت

وفى الداخل يدخل ابو شناف إلى مخدع الام التى كانت تبكى وتهم بالصراخ فيكممها ويدس سمومه فى أذنيها وهو يعتصر ذراعها:

–ابنك مع رجالتى بره لو صرختى هيقتلوه.. فين حجة الأرض؟

تشير إلى الدولاب فيفتحه بعنف حتى أن ضلفته قد انخلعت فى يده محدثة جلبة ويجد الحجة فـــى صـــندوق مغلق فيأخذها ويدسها فى جيب الجلباب ثم يخلعه ويغلق الباب مانعا ستهم من الهرب ويضربها على رأســـها فتفقد الوعى ليتكفل هو بإفقادها الشرف، وعندما طالت غيبة أبو شناف بالداخل استبد القلق بعبد الجبار فدخل الدار وحاول فتح الباب باكيا بلا دموع راجيا ابو شناف أن يفتح لكن ابو شناف لا يرد ولا يسمع عبد الجبـــار إلا صوت ملابس أمه تتمزق.. ويقف خائرا عاجزا .. يجرى إلى باب الدار يهم بالصراخ، ولكنه لو صـــرخ سيفضح أمه.. يجرى مره أخرى إلى باب الغرفة يهم بكسره لكنه يخشى من أبو شناف.. قد يقتل امه لو كسر الباب وقد يقتله هو شخصيا، يتحسس الألف جنيه فى جيبه وكأنها ثعبان يلدغه فيخرجها ويلقيها أرضا ويمزق جلبابه ويلطم ثم يتكوم كخرقة من القماش ويبكى ، وبعد مرور بعض الوقت الذى بدا لعبد الجبار أنه دهـــر ، خرج أبو شناف من الغرفه شبه عاري وعلى وجهه علامات الانتصار مسلطا عينيه الحادتين الضيقتين علـــى وجه عبد الجبار الذى أكل البكاء عينيه فحاول جاهدا أن يقوم من مكانه ويهاجم أبو شناف لكنه لـــم يـــستطع فنكس رأسه، وبعد عودته من الحمام دخل مرة أخرى إلى الغرفه وسمع عبد الجبار صوت صرخة مكتومـــة إنها أمه لقد استفاقت على المصيبه التى حدثت تنادى على ولدها الذى يقف على أرجل من الهلام ثـــم يـــسقط ويزحف على بطنه حتى يصل إلى الغرفة ليجد عسكرى الدرك وقد قيد أمه فى الفراش وحشا فمهـــا بمنـــديل حتى لا تصرخ وراح يعيد الكره وهذه المرة يغلق عبد الجبار الباب بنفسه حتى لا يرى المزيد، ثم سقط مغشيا عليه..

www.alkottob.com

.. فى الصباح استرد وعيه ليجد كل شىء فى حالة هدوء حتى انه لم يعد يميز هل ما حدث بـــالأمس كـــان كابوسا أم حقيقة ولكن ملابسه الممزقة والنقود الملقاة على الأرض وأعقاب السجائر التى كان يشربها الوحش بالأمس جعلته يتأكد أنها الحقيقة ، ويجرى إلى الغرفة المشئومة ليجدها فارغة لم يجد لأمه أثر، وسمع صياحا من بعيد واصوات جلبه، وخرج عبد الجبار ليجد الناس ينظرون له نظرات غريبة وسار بينهم لا يدرى مـــا يحدث حتى قابله أحد أصدقاء والده فبصق فى وجهه وهنا راح يجرى كالملسوع حتى وصـــل إلـــى شـــريط القطار خارج البلد كانت هناك جثتان وفوقهما وقف ابو شناف ينظر بتشفى قائلا:

– سيبوه ده ابن المرحومة

– المرحومة؟ أمى مرحومة؟ كشف الغطاء ليجد أبشع ما يمكن أن يراه إنسان.

www.alkottob.com

يخرج على من الزنزانة الانفرادية وهو في حالة يرثى لها، ويلاحظ باندهاش نظرات التشفي التي تملأ وجه عبد الجبار، ويسرع المعتقلين في تحية على والاطمئنان عليه، ويجلسون في حوش الليمان يتبادلون النكات ويسمعون آخر الأخبار في الجرائد القديمة التى تأتيهم من خلال الزيارات أو العساكر المرتشين، يقرأ سامي ما نشر فى إحدى الجرائد المستقلة :

– ولقد نظمت جماعة الإخوان المسلمين مسيرات احتجاجية في الجامع الأزهر وفى المحافظات.. ويغلق الجريدة ثم يتابع فى لهجة خطابية قائلا:

– إحنا يا جماعة بنتحرك مع الشعب وتحركنا مشاعر الدين الفياضة وحبنا لله ورسوله.. الحرب اللى بتشنها إسرائيل على لبنان وفلسطين دلوقت هى حرب دينية بالدرجة الأولى..ثم يرفع صوته قائلا بشكل خطابى: إنها حرب على الإسلام .. حرب على الله ورسوله. لقد استبد الهلع باسرائيل وأمريكا عندما وجدوا سلطة دينية فى منتهى القوة متمثلة فى حماس وحزب الله..هم عارفين إن الحكومة الإسلامية لو قامت فى دول العرب ستكون قادرة على سحقهم ودحرهم..

..يستمع عادل وعلى وجهه ابتسامه هادئة هى أقرب للسخرية، بينما يميل النمنم على أذنه هامسا:

– يعنى حماس وحزب الله هما بس اللى مسلمين يا باشمهندز؟ أمال حكومتنا ملتها ايه ؟.. يقول عادل ضاحكا:

– حكومتنا بزرميط يا نمنم..ثم يرفع عادل صوته موجها الحديث إلى سامى:

– فيه سؤال محيرنى يا أخ سامى يا ترى ممكن تجاوبنى عليه؟

يهتز سامى قليلا ثم يقول وهو يتحسس لحيته الخفيفة:

– طبعا.. ولو انى عارف ان اسئلتك كلها جدال ومراء

– ليه الإخوان متحركوش لما اتقتل جنديين مصريين داخل الحدود المصرية برصاص اسرائيلى .. فى حين المنشورات ملت البلد والمظاهرات بتاعتكو زحمت الدنيا لما الضرب ابتدا فى حكومة حماس واتخطف ٨ من وزرائها؟مش من باب أولى كنتوا تغضبوا للمصريين؟

.. ارتبك سامى وبدأ الغضب يغزو ملامحه وهو يهتف:

– أهى دى التيارات العلمانية والقومية يا إخوانى.. دى التيارات اللى بتشجعنا على العنصريه وان انا لا نثور على مايحدث فى لبنان وفلسطين لأنهم مش مصريين..

– متحورش الكلام يا سامى.. أنا كلامى واضح ..ليه مبتتحركوش عشان قضايا البلد فى حين ان قلبكو واكلكو اوى على الزهار وهنية ونصر الله؟ لما انتوا مع الحركات الحرة مسمعناش واحد اخوانى بيتكلم عن جيفارا أو حتى عن عبد الناصر؟ ليه ماسكين أوى فى الحركات الدينيه اللى قدرت تنط على كرسى الحكم أو بتحاول؟

– جيفارا كان مجرد مغامر لم يخوض حروبه فى سبيل الله.. أما عبد الناصر فكان يعتقل ويقتل أبناء وطنه الذين يختلفون معه فى الرأى

– وهل يا ترى حركة حماس ايديها مش ملوثه بدم ناس من حركة فتح؟ وهل يا ترى نصر الله الشيعى بقى فجأة حلو فى نظركو ومن عداد المسلمين لمجرد أنه على نفس الموجه؟

.. وترتفع صيحات الاستنكار ضد عادل وما يقوله ويبادر وائل الليبرالى:

– غلط انك تكون ضد نصر الله لمجرد اختلافك معاه فى المذهب يا عادل..

www.alkottob.com

– أنا مش ضد نصر الله ولا الشيعة لكن باتعجب للاخوان اللى بقوا مع نصر الله ، فى نفس الوقت اللى لسه فيه بيهاجموا عبد الناصر ويتهموه انه تسبب فى نكسة ٦٧، هو اللى عمله نصر الله يختلف عن اللى كان بيعمله عبد الناصر؟

ويقول وائل:

– انا كليبرالى ضد الاتنين، ومازلت أؤكد ان حسن نصر الله هو المستفيد الوحيد مما يحدث من دمار فى لبنان، هو من أصبح بطلا على حساب دماء أبناء بلده، وبعدين إيه النصر العسكرى اللى حققه نصر الله من بدايه الضرب لدلوقت؟ وليه مبيضربش الأماكن الحيوية فى اسرائيل ايه اللى حايشه؟ .. وتقطع جموع المعتقلين كلام وائل استنكارا لما يقوله ويكاد الجدل أن يتصاعد وينفجر ولكن الصفارة انطلقت معلنة موعد العودة إلى الزنازين وعلى باب الزنزانة يقطع سامى الطريق على عادل قائلا فى نبرة تهديد:

– ياريت تهدى شوية وتتعظ م اللى حصل النهاردة وتعرف ان الناس معانا

– الناس مش معاكو الناس ضد الظالم وبتلتف حواليكو عشان تغيظه.. ولو مكانش شعبنا مغيب مكانش ده بقى حاله ولا حالكو

– فوق يا أخ عادل فتح عينيك وانت تعرف ان شمس اليسار غربت من زماان والنهار الجاى لينا

– المصيبة الحقيقية يا سامى ان التيارات السلفيه ملهاش شمس عشان تشرق ولو حكمتوا فى يوم م الايام هيكون حكمكم بداية ليل طويل يا عالم هنخرج منه امتى!

ويفاجأ الاثنان بكرباج عبد الجبار يمزق ظهريهما دافعا كل واحد منهما إلى زنزانته دفعا.. يدخل عادل ويغلق بنفسه باب الزنزانة..بينما يقف سامى وظهرة لزنزانته ووجهه وعينيه يرمقان عبد الجبار فى ثبات ثم يبتسم ابتسامة عجيبة تدفع عبد الجبار إلى جذبه خارج الزنزانه ثم لطمه على وجهه فاتسعت ابتسامته فلطمه عبد الجبار ثانية لتطير احدى أسنان سامى الذى يخلص نفسه من يد عبد الجبار بصعوبه قائلا:

– مش دلوقت يا عبد الجبار.. المواجهة بيننا وبينكم مش دلوقت يا عسكر وينظر له عبد الجبار فى استهزاء ليضربه على قفاه ثم يلقى به إلى الزنزانة .. وفى داخل عبد الجبار يبدأ السؤال:

– الواد ده يقصد ايه؟ هو فى حد يقدر ع العسكر؟

.. ويذهب عبد الجبار إلى الفراش استعدادا لإجازة يومين تبدأ من باكر.. سيذهب إلى علاء بيه لأن انتصار على موعد معه وهو معتاد أن يرتب الشقة لهذا اللقاء وأحيانا يكون البيه مزاجه حلو فيترك له المناضلة بعد فراغه منها.. انه يعجب انه لم يرها ولو لمرة سعيده بضمة أو بقبله من علاء بيه أو منه بل إنها تقاومهما بضراوة كل مرة رغم أنها تأتى بكامل إرادتها.. ويتوقف عبد الجبار مع نفسه قليلا متسائلا:

– وهى لولا الصور اللى مع علاء بيه كانت تيجى؟ ولا ترضى بالوضع ده دى بنت ناس.. المرة اللى فاتت شفت فى ايديها دبله وسمعت من علاء بيه انها اتخطبت لدكتور فى الجامعه..فينك يا امه تشوفى ابنك وهو بيذل بنت مستشار وخطيبة دكتور فى الجامعه امال ايه مش عسكرى يعنى حكومة.. وهو يا عبد الجبار المستشار مش حكومة؟.. سأل مرة هذا السؤال لعلاء بك فضحك وقال له: يا مغفل أمن الدوله دول هما النظام.. عارف يعنى ايه النظام ؟ يومها فهم عبد الجبار أن النظام هو شىء أهم من الحكومة وأخطر.. يعنى علاء بيه أكبر من العمدة والحكومة؟ لا بس انى باذل المعتقلين هنا.. باحبس عادل المهندس واضرب سامى الدكتور وادلع نفسى مع بنت المستشار ...ويضحك عبد الجبار وهو ينظر فى المرآة هاتفا:

– آنى النظام .. النظام أنى.. وينفخ صدره ثم ينام متوقعا أحلام سعيده بابنة المستشار تبكى من الذل بين أحضانه لكنه ظل طيلة الليل فى كابوس حقيقى راح يعيد عليه عرض اغتصاب أمه وقتل أبيه على يد أبى

www.alkottob.com

شناف ثم مشهد أمه ملقاة على شريط القطار كانت أمه عاريه تماما ولسانها يتدلى خارجا مما يؤكد أن أحدا قد خنقها حتى الموت.. أما الجثة الثانية فكانت للشيخ على إمام زاويه الاخوان.. ويرفع عبد الجبار عينه الى أبى شناف وهو يقص أكاذيبه على العمدة والمأمور :

– دول كانوا.. استغفر الله العظيم وليلة امبارح اختلفوا مع بعضيهم فهددته بفضحه جام جتلها ولما ضبطته واعترف لى كنت هاجبض عليه ولكنه حاول الهرب جمت ضربت عليه سلاحى الميرى فجتلتــه .. ده كــان مسلح وخطير يا سيادة المأمور.. وأنى والغفر..... لم يسمع عبد الجبار شيئا مما تلى ذلك لأنه فقــد الــوعى ونقلوه إلى الوحدة الصحية وقد فقد الوعى والارادة... ويستيقظ مفزوعا قرب الفجر لتعاوده الحقيقة المرة، كل مافعله ويفعله وسيفعله من شر لن يمحو عاره ولن يهدىء خواطره المتألمه.. كان لابد أن يأخذ بثأر أمــه .. يوم خروجه من الوحدة الصحية.. كان مشتت الذهن لا يدرى أين يذهب.. انتظر الليل ودخل إلى قريته ليفاجأ بأن منزله قد سوى بالأرض.. وليجد نفسه أمام واقع مر.. صبى فى السابعة عشر من عمرة بــلا أب ولا أم ولا منزل ولا أرض.. حتى ثمن الأرض ضاع .. ويقرر عبد الجبار العوده إلى المركز لعله يجد عمل فــى المدينه لكنه يفاجأ بيد من حديد تربت بقسوة على كتفيه ويستدير ليجد نفسه وجها لوجه أمام أبو شناف.. قاتل أمه وأبيه وسبب كربه..كان داخل عبد الجبار بركة من غضب ولكن فى داخله أيضا كانــت شــلالات مــن الخوف منعته حتى من إظهار مقته.. و احتقر نفسه لكن هذه الليله علمته كيف أن الخوف لــو تمكــن مــن الإنسان يكون كفيلا بإطفاء غضبه وقتل نخوته.. لقد تعلم فيما بعد على يد أبى شناف أن الخوف يخرج مــن الناس أسوأ ما فيهم.. فيجبر النسوان أن يسلمن أجسادهن لمن يشهر عليهن المطاوى ، و يجعل الشاهد ينكــر انه شاهد و من لم ير يشهد زورا أنه رأى، الخوف هو الذى دفع الناس إلى ترك والده يقتل ثم ينــزف لمــدة ساعة دون أن ينقذه أحد، الخوف هو ما جعله يسلم أمه لذئب بشرى يغتصبها ثم يقتلها، الخوف من العــسكر هو ما دفعه إلى التضحية بكل شيء لكى يصبح منهم يوما ما.. الخوف هو الذى صنع منه كلب أبى شــناف المطيع منذ تلك الليله بالرغم من أن الأخير هو من أخذ أرضه وسلبه عرضه وقتل أباه وأمه وهدم منزلــه.. الخوف ..الخوف..

www.alkottob.com

فى منزل علاء ضابط أمن الدولة .. تخرج انتصار من غرفة النوم وعلى وجهها أقسى آثار الامتعاض والغثيان، تجلس على الأريكة ويلحق بها علاء مترنحا وفى يده كأس من الخمر، وترجوه باكية أن يسلمها الصور التي التقطها لها في المعتقل لكنه يرفض، فتصرخ في وجهه:

– أنت عايز إيه منى؟ مش كفاية لغاية كده فتيات الليل ماليين البلد.. ارحمنى وسيبنى أعيش حياتى..يحك رأسه شعره القصير للغاية ثم يسألها كأنه لم يسمع ما قالته :

– انتى خطيبك فى جماعة ٩ مارس؟

– .....

يثيره صمتها فيمسك بذراعها بشده وهو يقول:

– أنا عايزك تبلغينى أول بأول مواعيد الاجتماعات ونص الكلام اللى بيتقال وأسماء كل أساتذة الجامعه من أعضاء الحركة وهل فيهم إخوان وكام واحد؟ أنا سمعت ان فيهم واحد بهائى عايز اعرف عنه كل... تقاطعه صارخة فى وجهه :

– انت عايزنى اشتغل مرشدة لأمن الدوله يا ابن ال... تخرسها لطمة قويه على وجهها ويصرخ فيها وقد احمر وجهه:

– وانتى كنتى من خمس دقايق بتشتغلى ايه فى أودة نومى؟ على الأقل مرشدة أنظف من ..

لم تسمع باقى ما قاله كان بداخلها بركان متفجر من الغضب ليس منه فقط ولكن من نفسها، من خوفها الذى جعلها تأتى إليه بنفسها بدلا من المرة خمسة وعشره وفى النهايه لم يعطها الصور، وراحت تسأل نفسها أين ذهبت شجاعتها هى من كانت تقف فى المظاهرات لتهتف باسم مصر، هى التى كانت تلقى الخطب الحماسية فى الجامعه ضد الخوف والقهر، وفى داخلها تأكدت أن ضعفها هو السبب الذى جعل خوفها يحولها إلى أسيرة وعبده لهذا الحيوان.. وخرجت انتصار مهزومة من منزل علاء تسير على غير هدى وقد جعلتها لحظة الضياع تلتقى بنفسها مجددا وتكتشف الحقيقة المؤلمة : نعم إن من اغتصبها كان علاء الكلب وذلك العسكرى القذر، ولكن من دفعها إلى الاستسلام لهما مرة تلو الأخرى ؟ خوفها؟ ولكن لماذا خافت أن ينشروا صورها معهما أو يستغلوها بأى شكل؟ هل هو خجلها أن يراها الناس عارية؟ أم خوفها من كلام الناس؟ الناس! الناس! هما الناس سبب المصائب التى حلت بها وبهم.. خوفهم ووحشيتهم وجبنهم جعلهم دائما يشجعون القوى ويدهسون الضعيف، جهل الناس وظلمهم يجعلهم يلقون دائما باللوم على المغتصبة ليس على المغتصبين، وسألت نفسها : ترى هل نجح حكم العسكر إلى ذلك الحد فى زرع مخبر داخل كل مواطن؟ هل نجح الجبروت فى جعلنا نقهر بعضنا البعض؟ وتذكرت انتصار عندما كانت فى الثانوية العامة وقامت انتفاضة فلسطين الثانية، لم تر المصريين يتحركون فى حياتها كمثل تلك الأيام حتى أطفال الابتدائى خرجوا إلى الشوارع فى المظاهرات، وقامت مظاهرة فى حوش المدرسة وجاءت زميلتها نور التى كانت تقرأ القرآن فى الإذاعه المدرسية كل صباح ووقفت فى منتصف الحوش وعيونها حبلى بالدمع لتخلع حجابها الأبيض وترسم عليه نجمة زرقاء سداسية الشكل ثم تشعل فيها النار، لم تنس انتصار أبدا كيف خرجت مدرسة البنات فى المرواح فى مظاهرة كبرى لتلتحم بمظاهرة أخرى للشباب فى المدرسة الثانويه للبنين التى كانت بجوارهم، مشهد لم يحدث منذ ثورة ١٩ ، انتابها الخوف للحظة فلقد كانت حوادث التحرش من قبل مدرسة البنين لا تعد ولا تحصى قبل ذلك اليوم ، ولكنها فوجئت بأنها تسير محاطة بالفتيان ولم يمسسها احد منهم بسوء لقد كانوا يهتفون من أجل الحق، لم يعودوا يشعرون بالكبت حتى يفرغونه فى الأجساد الانثوية الغضة التى تحولت إلى أجساد مشتعلة بثورة على الظلم والعدوان وحناجر تهتف بالحق كحناجر الرجال. كان يوم نزعوا فيه الاغلال

www.alkottob.com

فظهر أجمل وأنبل ما فيهم، كانت تشعر أنها فى مظاهرة للطيور، عرفوا فيها للمرة الاولى ان لهم أجنحة يطيرون بها إلى الشمس دون أن تحرقهم، نظروا يومها إلى السماء واكتشفوا جمالها ورحابتها فلم تعد داخلهم حاجة للنظر إلى الأعضاء التناسلية للآخرين، ولكنها ايضا لم تنس كيف اقتحمت الغربان السود سماء غضبهم المقدس ، كيف ضربوهم بالعصى المكهربة، وكيف حشروا الأولاد فى صناديق ضخمة هى اشبه ما تكون باقفاص القرود ليأخذوهم إلى مكان مجهول..

.. وفى الصباح دخلت الفصل حصة الدين كانت اولى حصص اليوم ، دخلت المعلمة وفى فمها لبانة تتشدق بها ونادت على نور تؤنبها أمام الجميع على خلع حجابها الذى رسمت عليه علم اسرائيل ثم أحرقته، تصرخ فيها :

– انتى مش عارفه ان كده حرام؟ تخلعى حجابك وتمشى مع الشبان من غيره اطلعى بره الفصل ومتحضريش حصتى تانى

.. وجاءت الحصة الثانية ، حصة التربية القومية، تدخل المخبرة عفوا المعلمة لتعطهم درسا فى الأخلاق وكيف ان من اشتركن فى المظاهرة بالامس كن من الساقطات خرجن ليقابلن شباب المدرسة الثانوية للبنين وأن العديد من المساخر ارتكبت وأن بعض الفتيات اختتمن المظاهرة فى شقق مفروشة مع الأولاد، والله يعلم أنها كاذبه والله يعلم أن من اشتركوا من أولاد وبنات قد تحرروا ولو لمرة من قيود الجنس ، فثارت انتصار مما قالته المدرسة عن وجوب حب الرئيس وعن الحكومة اللى طفحانه الدم عشان تأكل بنات فاجرات مثل اللاتى اشتركن فى المظاهرة وعن حب الأهل والمحافظة على كرامتهم ..وطلبت انتصار الكلمة وبدأت توضح الحقيقة فطردتها المعلمة خارج الفصل..

...فى المرواح وجدت الفتيات يضعن الروج خلسة قبل أن يخرجن إلى الشارع، ورأت الفتيان وعدد لا بأس به منهم حليقى الرأس –على الزيرو– وقد خرجوا من أقفاص الحكومة رأتهم يتسكعون أمام المدرسة وفى عيونهم نهم غريب. سكتت أصوات الغضب وارتفعت أصوات ضحك البنات بشكل هستيري والصواريخ والبمب فى يد الولاد ومن خلفها جاء أحد الفتيان ووضع يده فى مكان حساس من جسدها ووقتها عرفت أنها لن تطير مرة أخرى أبدا ..

.. ومرت سنوات وعرفت انتصار أن معلمة الدين قد تم سجنها بعد أن سرقت مرتبات زملائها من خزنة المدرسة التى كانت فى عهدة صديقتها السكرتيرة، وأن معلمة التربية القومية التى أعطتهن درسا فى الأخلاق قد ضبطها زوجها عارية فى أحضان رجل آخر وسمعت انه قد رفع قضية زنا عليها، ولكن الاخبار تسربت فى المدرسة انه قد سجن فى قضية اتجار بالمخدرات وان المعلمة قد تزوجت من الرجل الآخر الذي كان ضابط شرطة فى مكتب مكافحة المخدرات!!

.. وعندها تأكدت أن مصر فى خطر، وعاهدت نفسها على ألا تطفىء جذوة غضبها ، وألا تتخلى عن اجنحتها مهما امتلأت سماء البلد بالبوم والغربان..

واتخذت انتصار قرارها بالاعتراف لخطيبها بكل ما حدث لها فى الاحتجاز وقررت عدم الذهاب إلى علاء مرة أخرى وليحدث ما يحدث

www.alkottob.com

جلس بعض المعتقلين فى الحوش يتناقشون حول وفاة نجيب محفوظ التى حدثت منذ أربعة أيام فى ٢٠٠٦ كان وائل أكثرهم تأثرا فقد كان يرى أن نجيب محفوظ هو الإبن البار لتاريخ الليبرالية المصرية، ووافقه عادل على هذا الرأى وإن كان يرى أن لنجيب محفوظ اهتماما بالبسطاء وعلاقات جيدة باليسار، وهنا يتخل شوقى اليسارى المتشدد ليقول:

– انا كان عندى يدوا نوبل لواحد زى أحمد فؤاد نجم ولا يوسف ادريس ولا حتى نجيب سرور أحسن مليون مرة من سى نجيب محفوظ ده

ويسأل نمنم فى حيرة:

–انتوا مهتمين بالراجل ده ليه كده، هو يعنى مدوبش هدوم الفرح ده حتى كان عنده أكتر من تسعين سنه؟

ويجيبه سامى وهو يعبث بلحيته الخفيفة:

– أنا مش عارف سر حزنكم على هذا الزنديق.. ده كان لابد أن يستتاب قبل موته عموما أهو راح فى داهية

ويقطع حديثهم صوت أحد العساكر:

– سامى عبد الصادق .. زيارة

ويقوم سامى إلى زائريه تاركا خلفه علامات استفهام من الحميع لماذا وكيف يكون هو الوحيد المسموح له بالزيارة بالرغم من أنه اخوان؟ وفى مكتب نائب مدير المعتقل يدخل سامى ليجد محاميه وأحد كبار رجال الاعمال من الاخوان وهو يسلم الضابط ظرفا مكتظا ليخرج ويتركهم بمفردهم ويميل سامى على محاميه هامسا:

– أنا تعبت أوى يا أستاذ منتصر أرجوك شوفلى صرفة دول بيرمولنا الأكل ع الأرض من غير أطباق ده غير التعذيب والإهانة

فيطمأنه المحامى:

– متخافش يا سامى احنا قالبين الدنيا بره ومش هنسكت غير لما نطلعك انت وزمايلك

عموما ماهيتك ماشية وبتوصل لأهلك فى المنصورة بانتظام

وقال له رجل الأعمال:

– خد يا سامى القرشين دول هينفعوك هنا وعايزك تشوف مذاكرتك الامتحانات قربت يا دكتور..قوللى العيال بتوع الطائفة المنصورة اللى قبضوا عليهم من كام شهر انا عرفت انهم هنا ايه رأيك فيهم؟

– دول لا طائفة ولا منصورة الظاهر انهم اتاخدوا غلط بس انا اتكلمت معاهم وواضح انهم من المحبين

– طب عال عموما حاول تقربلهم وتخليهم مش بس محبين لأ وعاملين كمان ضمهم لصفوفنا .. احنا هنحتاجهم بعدين

وتنتهى الزيارة لينفرد سامى بنفسه ولم يدر لماذا عاوده هاجس قديم كان يلح على ذهنه أن حسن المسئول عن تفجيرات الأزهر كان وراءه الإخوان لقد قابله مرة فى أحد الاجتماعات بالقاهرة ترى فيم سيحتاجون أعضاء الطايفة المنصورة؟ وترددت فى أذنيه آخر كلمات الرجل المهم فى الزيارة:

– هييجى ناس يفتشوا ويصوروكو عايزك تقول ان الاوضاع فى المعتقل تمام فاهم؟

.. وحتى لو مش فاهم سينفذ ما دام مرتبه لم ينقطع يبقى خلاص.. مئتى جنيه يأخدهم أول كل شهر مبلغ متواضع؟ ربما لكنه على الأقل أكبر من إعانة البطالة التى وعد بها أيمن نور فى برنامجه الانتخابي بل إنها

www.alkottob.com

حتى أكبر من مرتبات كثير من موظفى الحكومة القيادات يسمونها مساعدة ولكنه كان يعلم علم اليقين ان هذا المبلغ ما هو الا مرتب نظير خدماته..وسأل نفسه : يا ترى مين الزوار اللى هييجوا يصوروا؟

انتشرت الأخبار فى المعتقل وجمع عبد الجبار المعتقلين ليبلغهم أن التليفزيون الأمريكى سيقوم بتصوير وبث وقائع حملة تفتيش ستقوم بها زارة العدل على المعتقل وأن الجميع لابد أن يكونوا على مستوى المسئوليه وألا يشوهوا سمعة مصر أمام الأجانب ثم نظر لهم نظرة تحمل الكثير من الوعيد والتهديد وقال :

–مشاكلنا ن..ن..نحلها ف.. ف..فى الداخل. وكان المعتقلون يكتمون ضحكهم بصعوبه على مشهد عبد الجبار وهو يتقمص شخصية المسؤول الحكومى ويعرفهم معنى الوطنية وعلى تهتهته فى الكلام التى تتعارض مع نظراته الحادة وجسده الضخم ورد عليه وائل:

– اسمع يا عسكرى انت اللجنه بتاعة بكره جايه تحقق فى واقعة موت شاب هنا فى المعتقل وهتك عرض آخر واحنا مش هنخبى حاجه وبعدين ازاى نبقى احنا طالبينهم ييجوا يحققوا وبعدين لما ييجوا نقولهم مفيش حاجه كنا بنضحك عليهم مثلا؟

ورفع عبد الجبار بندقيته فى غضب ليضرب بها الصحفى الليبرالى ولكن أوقفته صيحه من محمد بيه: عندك يا زفت ويقف بينه وبين وائل هاتفا : حاسب يا ابن الجزمة يا غبى.. ثم ينظر لوائل مبتسما ابتسامة صفراء: انا آسف يا أستاذ وائل لا مؤاخذه أصله طور بعيد عنك

يبتسم وائل فى سخرية بينما يواصل الضابط:

– احنا بنعتذر عن أى خطأ وقع على احد فيكم ونوعدكم المعاملة هتتغير وانتوا شوفتوا امبارح والنهارده كنا فى غاية الذوق والأكل اتغير..

فهتف عادل فى سخرية:

– اه فعلا بقى فى اطباق بعد ما كان بيترمى على الأرض واحنا نلحس..ونظر اليه الضابط نظرة وعيد وكأنه يقول: حسابنا بعدين

ويدخل المعتقلون الى العنابر بعد حالة هرج ومرج وبعد ان اعلنوا اصرارهم على فضح المعتقل أمام اللجنه وامام القناة الامريكية التى ستصور

ويجتمع ضباط المعتقل مع مندوب الداخلية لمناقشة كيفية لم هؤلاء المعتقلين على ما اللجنة تمشى ومعاها القناة الامريكية

وفى الصباح تم خلط مياة الشرب والعصائر ببعض حبوب الهلوسه والعقاقير التى تسلب المرء إرادته ثم تم توزيعها على المعتقلين وجاءت اللجنه فى الصباح ومعهم فريق تصوير أحد البرامج فى قناة أمريكية و بيتر عونى مدير مكتب القناة فى القاهرة وقام مدير المعتقل بمصاحبتهم فى الجولة التى بدأت بزنزانة انفرادية تم تنظيفها ووضع فراش ولمبه حمرا وفتح الباب ليفاجأ الزوار بالمعتقل نمنم فى حالة سكر بين ومعه فتاة جميلة فى وضع مخل ورفع أحد وكلاء النيابه صوته صائحا: ايه القرف ده .. وارتبك مدير المعتقل ثم استجمع شتات نفسه مبررا: يا فندم دى زنزانة للخلوة الشرعية بين المعتقلين وزوجاتهم احنا فى المستقبل بنسعى يكونوا تلاته او اربعه عشان يكفوا خصوصا الموضوع د ه شغال دلوقت بالدور وبيبقى عليه خناقات بين المعتقلين

www.alkottob.com

واندهش بيتر وسأله : لكن القانون المصرى لا ينص على إعطاء السجين حق الخلوة الشرعية فما بالكم بالمعتقل؟؟

ورد عليه المدير: نحن لا نؤمن بالبيروقراطية واحنا عاملين يوم فى الأسبوع للزيارات العائلية والخلوات اللى زى كده

وهنا صاحت المذيعة الامريكية

– واو اتس فانتاستيك ..والتفت النمنم اليهم صارخا :

– ايه ده بقى انتوا مش قلتوا خد راحتك يا نمنم والمزة دى بتاعتك النهاردة كله؟ هاخد راحتى ازاى وانتوا واقفين تتفرجوا كده زى المحاريم؟

زغده احد الضباط الشباب وهمس له: اسكت وخليك فى اللى ف ايدك فضحتنا الله يفضحك

وابتسم المدير فى ارتباك نسيبهم براحتهم وناخدكوا للزنزانة اللى بعد كده وأخذهم الى زنزانة سامى الذى كان الوحيد الفايق فى المعتقل والذى راح يمدح فى إدارة المعتقل وفى الجو الهادىء الذى يساعده على استذكار دروسه

ثم فوجىء الجميع بجرس الفسحة اليومية الذى جاء يبدو على غير اتفاق ولا ترتيب حتى ان الضباط قد ارتبكوا جميعا دون ان يعلموا ان عبد الجبار هو من اخرج المعتقلين من الزنازين بحجة انه يوريهم سعادة المساجين على الطبيعة.. وخرج المساجين ومع بعضهم فتيات وسيدات ومع بعضهم الاخر اجهزة كاسيت يسمعون بها اغانى هابطة انتقاها عبد الجبار وذهبت المذيعة الى مجموعه تغنى مع شعبولا يا عم عربى اصحى .. ليقول احد المعتقلين والذى كان يبدو على جسده نصف العارى آثار تعذيب: يا اهلا بالضيوف

يسأله بيتر ترى ما سر الكدمات التى اراها على وجهك وجسدك

قال: انا السبب يا بية قعدت اضرب نفسى فى الحيط لما جبت اخرى

– ولماذا؟ نظر الى الفراغ فى بلاهة قائلا:

– هاه؟ عقدة نقص يا بيه

ويأتى عبد الجبار بعادل ليلتقى بالمذيعه:

– هل حقا تعيشون الان ازهى عصور الديمقراطية ؟

– لأ طبعا.. ويجف حلق مدير المعتقل

ويضحك عادل قائلا وهو يرقص

– نحن نعيش الآن أزهى عصور المهلبية...

ازاى

يعنى يا مهلبية يا وكل ريس يعمل اللى على هواه ويستغرق فى ضحك هيستيرى

ويغادر الزوار مسرعين والغضب والذهول يرتسم على وجوههم.

بالطبع كانت فضيحة تناقلتها وكالات الانباء العالمية شهورا طويلة عن االخمور والجنس الذين عما المعتقل المصرى. وراح فيها مدير المعتقل وبعض الضباط

www.alkottob.com

من حين لآخر كانت ذكريات المرة الاولى فى حياة عبد الجبار الجنسية تجتاحه. كانت فتاة فى الخامسة عشر من عمرها أمها كانت ماشطة البلد وابوها كان حلاق الصحة يعنى المقابل للكوافير والجراح تخيلوا كوافيرة متجوزة جراح كانوا اغنى بيت فى البلد بعد دوار العمدة.. وكانت دى بنتهم الوحيده التى انقطعت امها عن الولاده بعدها بسبب مشاكل فى الولاده يقال ان السبب فيها هو الزوج –حلاق الصحة– الذى أصر على القيام بتوليد زوجته بنفسه. المهم ان البنت كبرت قبل الاوان لتصير أجمل بنات القرية.. كان عبد الجبار أيامها فى السادسة عشر من عمره وقد أصبح من الرجال المقربين لشيخ الغفر وقد كلفه ان يقوم بالحراسة الليلية دائما ومن هنا جاء اللقب الذى اشتهر به عبد الجبار" عسكرى الدرك".. يذكر عبد الجبار جيدا ان البلد وقتها صارت بلا رجل تقريبا كان هناك رجال لكنهم كانوا مثل الفراريج جبناء لا يتحدثون الا فى التفاهات. وكان اكثرمن يتحدث هو حلاق الصحة الحلاقين كلهم كثيرو الكلام لا يصمتون الا بالموت. وكان سعد من هؤلاء. كان شيخ الغفر يحب قعدة سعد ورغيه وخوضه فى أعراض ستات وبنات القرية.. لم يترك واحده الا وادعى ان له معها حكاية. وكان ممكن ان يستمر الامر على هذا المنوال لولا ان جاءت الليلة الموعوده .. كانت ليلة زفاف بنت شيخ الغفر التى كانت فى الثانية والعشرين من عمرها – عانس فى نظر اهل القرية من تتزوج فى هذا السن– ففى قرية عبد الجبار تتزوج الفتاة فى الثامنة عشر على اكثر تقدير– كان فرح كبير تاجل لاكثر من مرة بعد دور تعب الم بشيخ الغفر والزمة المستشفى فى البندر لشهر كامل.. فى هذه الليلة ذهبت "جمالات" الماشطة الى منزل شيخ الغفر لتزيين ابنته وبعد ان انتهت من عملها وتناولت العشاء وأخذت معها طعام يكفيها واسرتها ليومين على اقل تقدير فوجئت بأبى شناف يعترض طريقها ويلح عليها فى المبيت حتى تقوم بتزيين ابنته فى الصباحية قبل ان يأتى المهنئون.

– انتى عارفة يا ام صباح ان البت وشها عفش زى امها الله يجحمها مطرح ما راحت.. وانى خايف لو حماتها شافتها من غير احمر واخضر تفض الجوازة واحنا ما صدقنا.. وان كان ع الوكل هاشيعهولك ع الدار حدا سعد وصباح.. حاولت جمالات التملص ولكن الامر بالمبيت صدر واللى كان كان..

انتهت الحفلة وذهب كل الى داره ودخل العريس والعروس الى غرفتهما وأغلقا بابها.. ودخلت جمالات الى الغرفة والخوف يعتصرها فسمعة ابو شناف معروفة وحاولت البحث هن مفتاح تقفل به الغرفة فلم تجد ورقدت على الفراش تفكر وتفكر حتى مر وقت كثير وهدأ الجو تماما فخالت ان ابوشناف قد نام ومع الوقت بدأ النوم يغزو عينيها ويخدر جسدها وبدأ يراودها كابوس بان انفاسها تختنق وكأن شيء ثقيل يجثم فوقها وبدأت تناضل لحصول على جرعة هواء حتى استيقظت وليتها ما فعلت..

فقد وجدت ابو شناف يجثم فوقها كما يجثم الاسد فوق فريسته صرخت فم تخرج الصرخة فقد كانت مكممة حاولت دفعه عنها فاكتشفت انا مقيدة اليدين والقدمين تذكرت ابنتها وزوجها فانفجرت الدموع من عينيها على حظها الاسود الذى كتب عليها ان تفقد شرفها دون ادنى مقاومة منها تركت ابو شناف يفعل ما يريده وقد قررت الانتحار بمجرد ان يطلق سراحها نعم ستلقى بنفسها فى النيل بمجرد ان تخرج من بيت الذئب.. وعندما قاربت اللحظة التى تخشاها اى امراة انتابت جسدها رعشة قوية من شده الخوف والالم .. ولكن شيئا لم يحدث .. فجأة وجدت ابو شناف يبتعد عنها كالملسوع والذهول يملأ عينيه.. لم تفهم جمالات الا بعد ان عاود ابو شناف الهجوم عليها مرة اخرى وللمرة الثانية لم يفلح.. ومرت الليلة فى محاولات فاشلة حتى اقترب الفجر وتحول هياج شيخ الغفر وغضبه الى انكسار وشعور بالمهانة و.. دموع

www.alkottob.com

لقد كانت جمالات اول مواطنه فى القرية المنكوبة ترى دموع ابو شناف.وامتلأت عيناهـا بابتـسامة شـماته وتشفى وفرحة لان الله انقذها. فما كان من ابوشناف الا ان أوسعها ضربا واستدعى عبد الجبار لينقلها الـى الزريبة ويربطها هناك حتى ينظر فى أمرها .

المهم انه لسبب ما تركها تمضى بعد ان نبه عليها الا تذكر شيئا مما حدث لاى مخلوق والا فانه سيقتلها هـى وزوجها وابنتهما.. وخرجت الماشطة لا تلوى على شىء حتى وصلت الى منزلها وراحت فى نـوم عميـق حتى انها لم تستيقظ الا قبيل المغرب بدقائق..

كان اول شىء فعله ابوشناف فى الصباح الذهاب الى محل الحلاق سعد ليستطلع الامر ليجده يقوم لـه بكـل توقير وترحاب خالى من التشفى او الغيظ مما طمأن ابو شناف، واكن من الممكن ان يمر الامر بسلام لولا ان ابو شناف راح يحكى لسعد عن مغامراته الليلة الماضية مع الغجرية التى رقصت فى فـرح ابنتـه.. ولمـدة اسبوعين راح يذيع حكاية الغجرية فى القرية .. حتى وصلت الحكاية الى جمالات الوحيدة التى تعرف الحقيقة كاملة. وفى احدى الليالى فى ساعة صفا كان سعد يحكى لزوجته عن الغجرية وعمايل ابـو شـناف معاهـا ففوجىء بزوجته تضحك بسخرية فقال لها:

ايه يا ولية مش مالى عينيك اياك؟ مامصدقاش انى اقدر اعمل زيه؟

فاندفعت جمالات بغباء شديد قائلة:

– وهو ابو شناف بيعرف يعمل حاجه اصلا؟ ده منظر منفوخ ع الفاضى اه لو تعرف الحقيقة يا ابو صـباح والنبى كنت تضحك.. هب سعد بغضب وحيرة سائلا اياها والشك يملأ عينيه:

وهى ايه الحقيقة يا جمالات ؟ ارتبكت جمالات وقد ادركت غباءها بعد فوات الاوان:

– وانا وانا ايه عرفنى اهم بيقولوا انه ..

انه ايه انطقى

– انه مبيعرفش.. المرض الى جاله اثر عليه وعجزه

وبالطبع البقية معروفه تطور النقاش بين الحلاق وزوجت وانتهى بعلقه ساخنة وباعترافهـا بتفاصـيل الليلـة المشئومة ..

كان الحلاق جبانا كبقية اهل القرية كان بداخله غضب وتشفى لا يمكنه كتمانهما.. ولانه كان ضعيفا لم يجـد الا سلاح الثرثرة لينتقم به من ابو شناف وفى اقل من اسبوع ملات شائعات عجز ابو شناف الجنسى القريـة وأجوارها. وجن جنون ابو شناف زوراح يتقصى حتى علم ان وراء الخبر الغجرية التى قالت للحـلاق ولان ابو شناف يعلم جيدا ان الغجرية لا تعلم فقد تأكد له ان الحلاق هو من قال وهنا قرر العقاب..

.. مازال عبد الجبار يذكر تلك الليلة كانت ليلة سوداء بكل ما تحمله الكلمة من معنى لم يطلع القمر وكانـت الذئاب تعوى اكثر من اى وقت مضى .. وتحركت كتيبة الاعدام التى شملت ابو شناف وعبد الجبار ورجلين اخرين الى منزل سعد اقتحموه عنوة وقيدوا االثلاثة الرجل وزوجته وابنتهما .. ووقف ابو شناف فى صحن الدار قائلا:

بقى بتفضحنى يا حلاق الغبرة؟ طيب واشار الى رجليه لياتياه بجمالات وفكوها وجردها من ملابسها والقوها تحت قدمى ابو شناف الذى امرهم بربطها هكذا وتركها ثم وقعت عيناه على الفتاه الجميلـة فثـارت شـهوته فأمرهم بجلبها اليه وارتمت تحت قدميه عارية فهجم عليها وراح يحاول ولكنه فشل ليلمح التشفى فـى عـين الحلاق مما اثار كل الشر والاستبداد بداخله فأمر رجليه باغتصاب الزوجه ففعلا والحلاق يصرخ صـرخات مكتومة من تحت الكمامة وانتحى عبد الجبار جانبا وقد انتابته حالة عصبية بعد ان تذكر مشهد اغتصاب امه

www.alkottob.com

وراح يهذى: اه يا امه اه يا امه.. وشعر ابو شناف بالخطر فها هو واحد من جنوده يرق قلبه للضحية فأخـــذه وخرج بعد ان امر رجليه بجلب الفتاه الى عشة الخوص اللى بره البلد وبحرق المنزل ومن فيه.. وراح ابـــو شناف طيلة الطريق يهذىءمن روع عبد الجبار ويفهمه ان امه اغتصبت لانه لم يكن من رجاله وقتها ولانه لم يكن فى وعيه يومها ثم بدأ التهديد وانت عارف انك لو خرجت دوقت عن طوعى اختك مـــش هتبقـــى فـــى امان.. وللمره الثانية غلب خوف عبد الجبار غضبه.. وخصوصا عندما جاء الرجلين ومعهما الفتاة الجميلـــة وبدأ ابو شناف يغوى بها عبد الجبار ويقول له: انا لم انجب وانت ولدى وساعدى الايمن انا لو شفتك معاهـــا هايبقى كانى ان بالظبط الى معاها.. وبدأت شهوة عبد الجبار تتحرك ولكن دموع البنت ولهفتها على ابويهـــا كانتا تمنعاه وهنا جاءه ابو شناف ابشع من الشيطان ليوسوس فى اذنيه:

غمض عينك وتخيل أنها مرات واحد أنت بتكرهه.. وبالفعل أغمض عينيه وتخيل.. تخيل انها ابنة ابو شناف والذى اغتصب أمه ويريد تحويله هو الآخر إلى مغتصب وفتح عينيه ليقيد الفتاة المسكينة ويحشو فمها بمنديل لكى تكف عن الصراخ وراح يفعل بها ما فعله أبو شناف بأمه... مرة واثنان حتى سقط متعبا وراح فى نـــوم عميق...

يعد تلك الليلة علم ان الفتاة تم إرسالها إلى الغجرية التى سافرت بها إلى شمال الدلتا لتعمل غازية فى الموالد والأفراح وظلت هذه الفتاة أمل عبد الجبار وغايته حتى يومنا هذا..

www.alkottob.com

كان والد انتصار فى غاية السعادة وقد عاد من أربع سنوات قضاها فى السعودية لم يدر ما حدث لابنته خلالها كل ما يعلمه أنها تتزوج من شاب ممتاز وانها أجمل عروس رآها فى حياته .. يداعبه نائب رئيس نادى القضاة قائلا:

– أبو العروسة فاضى ومشغول؟

فقال ابو انتصار:

– لا يا فريد باشا أمها وانت الصادق؟

وضحك الجميع.. وجلس داوود والد انتصار الى جوار نائب رئيس نادى القضاه وسأله:

– انا كنت متابع أخبار الازمة بينكو وبين الحكومة

– الأزمة لم تنتهى بعد يا داوود

– يا عم ما تلموا الحكاية بقى .. يعنى الحكومة بتفكر ترفع سن امعاش ٧٠ سنة ومالة مصلحة احنا المستفيدين.. لكن زكريا عبد العزيز يطلع يشاغب كالعادة ويقول ده خطر طب خطر على مين.. علينا؟

– هو احنا منتحركشى الا لو كان الخطر علينا؟ الخطر ع البلد يا داوود واحنا مش أنصاف الهه عشان نفضل فى اماكنا ومناصبنا للابد وكمان الحكومة مش مع القضاة ولا غيرهم الحكومة مع مصالحها ومصالح رجال الاعمال الفسدة ومع كل اللى بيطرمخ على مصاييهم السوده.. انت عارف ان ابنى رئيس محكمة وكان فى الانتخابات الاخيرة تعرف ان الضباط ضربوه لما رفض دخولهم اللجنة ومش بس كده لأ دول حبسوة فى الحمام وسودوا البطايق الانتخابية بمعرفتهم عشان مرشح المعارضة ميكسبش عارف يعنى ايه رئيس محكمة يتحبس فى دورة المياة يا سيادة المستشار؟؟؟؟

يهم داوود بامقاطعة ولكن زميله يكمل:

– ولا رئيس المحكمة التانى الى انضرب بالجزمة فى وشه فى الشارع.. البلد باظت.. كلاب ابن المحضر بقت بتضرب القضاة بالجزمة شوفت الزمن؟

.. وفى ركن قصى من القاعة الفاخرة وقفت أم انتصار مستندة إلى الحائط ويدها على قلبها كانت ابنتها فى نظرها أجمل عروس وكان يوم عرسها ليكون أسعد الأيام لولا تلك الأيام السبع التى قضتها خارج البيت محتجزة.. عندما عادت ابنتها لم تسألها عن شىء فقد كانت آثار التعذيب بادية عليها ولكنها أبدا لم تتأكد ان كانوا سلبوها عذريتها أم لا ولم تحاول أبدا أن تسأل انتصار فلو كانت أجابتها بنعم لكانت غادرت الحياة كمدا كل ما فعلته هو أنها انتظرت شهرا تلو الآخر ولما لم تظهر علامات الحمل على ابنتها اطمأنت وإن كانت طمأنينه وهمية.. لم تمنعها من توجيه تلك النظرة الى ابنتها من حين لآخر وكانت انتصار تجيب باحناء رأسها فى الأرض أو بإشاحة وجهها إلى الفراغ.. وراحت أم انتصار تدعو الله أن يستر ابنتها بل لقد ورد لها خاطر أن الله لو أخذ عريسها هذه الليلة لسترها وتصبح فى نظر الناس أرملة وتختفى الحقيقة المفجعة إلى الأبد. أما انتصار فقد جلست على الكوشة وكأنها جالسة على كرسى من جمر واختلست نظرة إلى عريسها الذى علت وجهه ابتسامة فرحة وظفر فقد فاز بعروس جميلة ومثقفة وابنة ناس ولكنه لم يكن يعلم أن هناك من ظفر بها قبله. وسألت انتصار نفسها ترى هل لو عرف الحقيقة ستظل تلك الابتسامة على وجهه؟ ثم سألت نفسها إذا ما كانت تحبه أم لا ولم تدر لسؤالها إجابه فما حدث لها أفقدها أى قدرة على التمييز بين الحق والباطل أو بين الحب والادعاء ، كل ما كانت تعرفه هو أنها كانت تتمنى أن تتزوج من بطل قومى وزوجها رجل وسيم ومدرس فى الجامعة ومعارض للنظام كما أنه كان أستاذها ولابد أنها انبهرت به وبثقافته وانفتاحه وعندما غابت قرابة الشهر بعد ما حدث لها وانقطعت عن دراستها العليا لم يكن منه إلا أن بادر بالاتصال بها

www.alkottob.com

والاطمئنان عليها .. كان يعلم تماما نشاطها السياسى لكنها لم تصارحه بواقعة اختطافها واحتجازها ولو أنها فعلت لسألها ولو سألها لما أجابت ولو أجابت كان سيتركها..وتمت الخطبة وعزمت ألف مرة على مصارحته ومواجهته بالحقيقة ولكنها لم تستطع وحارت فى سبب إحجامها عن مصارحته هل هو خجلها؟ أم خوفها أن تفقد احترامه ؟ أم اضطرارها لمصارحته أنها ما تزال تذهب لمغتصبيها المرة تلو الأخرى رغم وجود دبلته فى اصبعها؟ أم تراه شكها فى تفتحه واستنارته؟ وعدم تصديقها لصورة الرجل المتحرر التى كان يرسمها لنفسه حتى أنه ناقشها فى الحجاب أكثر من مرة وأنه يرى أنه مجرد عادة لا عبادة وعندما سألته لم اختارها وهى محجبة لم يجد ردا مقنعا يجيبها به. لو كان جاءها قبل ما حدث لكانت أسعد فتاة ولخلعت الحجاب بنفس راضية وضمير هادىء ولكن بعد ما حدث صارت تشعر أن حجابها ضرورة لستر ما انكشف أو ربما مخبأ تخبىء خلفه ضعفها وجبنها وجسدها الذى انتهك غصبا ثم صمتا منها مرة تلو الأخرى..ربما كانت ستتناسى وتعيش الليلة فى سعادة مصطنعة لولا ذلك الحقير علاء الذى تعمد الاتصال بها وهى عند مصفف الشعر وحجته تهنئتها بالزفاف السعيد! ربما كانت ستنسى لو أن عريسها لم يهمس لها على باب جناحهما بالفندق أنه أسعد انسان فى الدنيا لأنه سيكون أول من يعثر على كنز أنوثتها.

www.alkottob.com

الفصل الأخير

.. مرت سنوات على انتصار وعلى مصر .. تم فيها بيع جميع البنوك الوطنية واشتدت شوكة الاخوان المسلمين وتعددت حوادث الاختفاء القسرى للمعارضين .. تمت محاكمة خمسة رؤساء تحرير لجرائد حزبية ومستقلة وتم الزج بأحدهم الى معتقل الواحات بتهمة تكدير الصفو العام . وفى ليمان طرة وفى ظروف غامضة تم قتل أحد زعماء المعارضة وأعلنت وزارة الداخلية انتحاره وذلك بعد القبض عليه للمرة الثانية فى قضية تحرش بأنثى..وفى عام واحد قام المستثمرين الأجانب بتشريد نصف مليون موظف وعامل فى المصانع والشركات وقطاعى الصحة والتعليم وفى نفس العام ولدت انتصار طفلا ميتا وفى الحقيقة لم تكن تعلم أيهما والده زوجها أم علاء.. و خصخصت الدولة كل شىء من البنوك إلى وسائل المواصلات ولم يبق فى يدها سوى الجيش والشرطة ووزارة الاعلام التى استغلها نجل الرئيس فى تقديم برنامج يومى يشرح فيه خطته للخروج من الازمة الاقتصادية الطاحنة التى تزيد يوما بعد يوم ويطالب الموطنين بالدعاء لوالده بالشفاء العاجل ولوالدته بالرحمة.. وكان التلفزيون المصرى هو آخر المحطات التى أذاعت خبر اجتياح الجيوش الامريكية لدمشق وإعدام الرئيس السورى ، فقد كان منشغلا بإذاعة بيانات لجنة السياسات وتغطية الحرب الأهلية بين غزة والضفة فى أراضى الحكم الذاتى للعرب فى إسرائيل وعرض الحلقة الثلاثون بعد الألف من مسلسل أجنبى فشل فى الدولة التى أنتجته فشلا ذريعا.

وفى خضم هذه الأحداث الجسام زادت الحركات الاحتجاجية والإضرابات التى عمت مصر من الاسكندرية إلى أسوان واستشرى الفساد حتى طالب بعض النواب بإلغاء عقوبة الرشوة من قانون العقوبات.. وبين كل هذه الأحداث تاهت انتصار فى تعاستها الزوجية مع زوج يعانى من انفصام فى الشخصية فهو خارج المنزل مناضل تقدمى وداخل المنزل حيوان تحكمه الغريزة لا مبالاة لديه بمشاعرها بل حتى بوجودها..ثم اكتشفت خيانته لها مع احدى فتيات الاعلانات مما فجر داخلها غضبا لا حدود له وجدت نفسها بدون وعى تتصل بعلاء وتذهب إليه ..وفتح لها باب شقته وعلى وجهه ابتسامة ظفر استهتار فى آن واحد وانتابها نفس الشعور بالخوف والغثيان وهى تنظر إلى وجهه الأبيض اللامع وشعره المحلوق ليظهر شديد القصر .. كان كل شىء فيه يلمع ولم تكن قسوته قسوة حيوانات ولا بدا لها يوما أنه وحش، كانت قسوته من نوع مختلف كقسوة آله حديدية براقة ولامعه تدهس من أمامها بلا رحمة وبلا حتى أى مظاهر استمتاع بسحق من أمامه. خانت انتصار زوجها معه وفى الفراش كتبت تقريرا فى زوجها أودى به الى المعتقل مع ثلاثة من زملائه فى حركة ٩ مارس ورفعت ضده دعوى تطليق وقبل أن تحصل على الطلاق تعرفت على وائل الصحفى الليبرالى الشاب الذى خرج لتوه من المعتقل والغريب أنها تعرفت عليه جلسة محاكمة زوجها وزملائه وكان هو حاضرا لمساندة أساتذة الجامعة المتهمين أما هى فكانت ذاهبة للتشفى فى زوجها.. ووقعت انتصار فى حب وائل بعدما ساندها فى أزمتها بعد الطلاق ووفاة والدها وفى احد لقاءاتهما صارحها وائل بحبه ورغبته فى الزواج منها حيث نظر إلى عينيها بحب وقال لها:

– ليه يا حبيبتى ما بينا ايما سفر ده البعد ذنب كبير لا يغتفر .. فضحكت انتصار بدلال :

– صلاح جاهين؟

– لا.. ده قلبى

يضحكان سويا وفجأة يباغتها:

– تقبلى تتجوزينى؟ وارتعدت انتصار عندما سمعت سؤاله ولم ندر لم هل هو خوفها من تكرار التجربة؟ أم شعورها بأنها لا تستحق رجلا فى احترام وائل وهمهمت بصوت مرتجف:

www.alkottob.com

– أرجوك اصبر على أنا لسه خارجة من تجربة مريرة .. وصبر وائل عام واثنان بلا فائدة لتقرر فجأة تركه وقد فاجأها هذا القرار كما فاجأه ولم تجد لنفسها مبررا سوى انه لم يمتهن كرامتها نعم لقد تغيرت انتصار فقد جعلتها المهانة التى تجرعتها لسنوات شخصا مريضا تستعذب عذابها تستمتع بسباب علاء لها أثناء لقائهما ومعاملته العنيفة لها .. صارت تجد لذة غامضة فى العذاب الذى تشعر فى قرارة نفسها أنها تستحقه..

وفى أحد اللقاءات الساخنة صارحها علاء بانضمامه الى تنظيم من ضباط الجيش والشرطة يسعى الى قلب نظام الحكم فنظرت له بذهول صامت ليقول لها:

– مستغربة ليه؟ .. همت بقول شىء ما فأجابها قبل ان تسأل :

– أيوه .. هى الجماعة اللى بتوزع منشورات فى مصر من سنتين

– بس ازاى؟ أنت ظابط أمن دولة؟

– أيوه أنا أمن دولة عارفة يعنى ايه ضابط أمن دولة ؟ نتعب ونشقى نفقد كل متعة فى الحياة وتطاردنا الكوابيس بالليل باللى بنعمله بالنهار لحد ما ماتت أرواحنا وبقينا وحوش وكل ده عشان إيه؟ عشان البيه الرقيع المدلل يتولى مقاليد الحكم بعد أبوه؟ طيب ايه اللى بيميزه عنى؟ وامتى تيجى فرصتى بعد عشرين سنة؟ وهابقى ايه فى الآخر لواء؟ وزير؟ الانقلاب ده لو نجح ممكن أوى أبقى وزير من بكره ومش بعيد أبقى رئيس مرة واحدة.

تتسع حدقتا انتصار فى ذهول غير مصدقة لما تسمعه فيضحك علاء ضحكته المعدنية ويقول:

– فاكرة الصور اللى تم ارسالها للصحافة وكليبات التعذيب التى تسربت منذ سنوات عن تجاوزات الامن وكانت تصل احيانا بتوقيع عسكرى الدرك؟ نعم احنا اللى سربناها الصحافة والمدونات.. مستغربيش كده عشان كل ده ضرب فى النظام وتجييش لمشاعر الناس عشان يساندونا لما نيجى.. ثم يقول فى لهجة استعراضية وكأنه يقف على خشبة المسرح : تخيلى ضباط ضد التعذيب ضباط يواجهون الضباط والنظام عشان الناس.. تخيلى رد فعل الشعب ؟ دول مش هايحبونا بس دول هايعملولنا تماثيل.. وتلمع عينيه ببريق مخيف وخيل لها للحظة انه قد فقد قواه العقلية وتسأله بحذر:

– مش شايف انها غريبة جدا أنك تكشف لى معلومات بالخطورة دى .. انت؟ ..... انت ناوى تقتلنى مش كده؟ يبتسم علاء فى جزل ثم يقول:

– لا .. مش هاقتلك.. أنا هاتجوزك

استيقظ عبد الجبار من نومه بصعوبة شديدة فقد نام بعد الرابعة فجرا وذلك بسبب كابوس أرقه فى أول الليل كان يتكرر دائما منذ حادث مقتل والده وكان عبد الجبار قد نال ترقية استثنائية والتحق بأمن الدولة بمساعدة علاء بك الذى وعده بترقيته ضابطا اذا نجحت الحركة المباركة فى الوصول الى الحكم .. استند عبد الجبار الى جدار الزنزانة التى كان مقيما فيها داخل ليمان طرة وقد كان حارسا عليها وسجانا لمن داخلها يوما ما وهو يتذكر كيف ان الباشا الكبير خال علاء بك والذى كان يشغل منصبا رفيعا فى الحكومة لسنوات طويلة كان أيضا يحضر اجتماعات حركة ضباط من أجل التغيير ويباركها ولم ينس أبدا الحوار الذى دار بين البك الكبير وبين الرائد ناجى حين قال الاول:

www.alkottob.com

– صدقنى يا سيادة الرائد أن النظام يوشك على السقوط وأنا مش عايز أسقط وعايزك تتأكد أننى أدعمكم بقوة ومش من المعقول ولا المنطقى أن أشى بكم لأى سبب كان ويكفى أن يبقالكم ظهر قوي زيى فى الحكومة ..

وينظر له ناجى باستخفاف ملوحا بيديه قائلا:

– كنت.. كنت قوي يا معالى الوزير بس حاليا الاضواء انحسرت عنك و النفوذ راح من ايدك

– ممكن يكون عندك حق أن الاضواء انحسرت عنى لكن النفوذ لسه فى ايدى وهاتشوف.. يا سيادة الرائد أنا كنت وزير وأنت لسه عيل وفضلت وزير رغم تعاقب ثلاثة رؤساء ويضع يديه على كتف ناجى هامسا بصوت يشبه الفحيح:

– أنا كنت أقوى من الرؤساء وأكثر قدرة على البقاء فى منصبى

– لأنك قوى؟ ولا لأنك بتتلون زى الحرباية باللون اللى يناسب كل عهد من الثلاثة؟

لم يسمع عبد الجبار باقى الحديث لكنه كان مذهولا مما سمعه يومها وغير قادر على استيعاب أكثر من نصف الكلام لكن الحقيقة الوحيدة التى كان يدركها أنه فى طريقه لمزيد من القوة والجبروت طالما يسير فى ركب علاء بك فهو رجل شديد وقوى انه أقوى بكثير من شيخ الغفر .. شيخ الغفر الذى انتقم منه عبد الجبار فقد تزوج ابنته الدميمة بعد طلاقها وأذاقها الويلات كان يتركها كالكم المهمل فى القرية ولا يزورها بالشهور.. لم يذكر أنه لمسها يوما الا ليضربها .. وكان زواجه بها هو أول خطوات الانتقام من أبى شناف ذلك المجرم الذى قتل أبيه وأمه وأخذ أرضه بالبخس. لم ينس كيف انه عاد الى البلد اجازة لمدة اسبوع نجح خلالها فى تفتيت عصابة أبى شناف فهذا متهرب من التجنيد فيبلغ عنه وذلك عليه ثأر فيدل أهل الثأر عليه هكذا حتى صار شيخ الغفر العجوز وحيدا ومشلولا كان لا يحلو له ضرب زوجته الدميمة ومعايرتها بخلقتها التى تشبه وجه القرد الا امام والدها.. ثم ألقى بالسفاح العجوز فى مضيفة العمدة لكنه لم يطق فكرة بعده عن سيطرته فأعاده بعد شهرين وهو شبه جثة ليدخل عليه ليلا كلما كان فى اجازة ويوسعه ضربا بالسوط وبالحذاء .. كم ليلة باتتها ابنة ابو شناف مقيدة وعارية فى شتاء طوبة وسط المواشى فى الزريبة.. لم يترك وسيلة لتعذيب عدوه القديم وابنته الا واستخدمها وفى ليلة شديدة البرودة مات أبو شناف وقبل أن تصرخ على والدها أجبر عبد الجبار زوجته على التنازل له –فى عقود جهزها له علاء بك– عن كل ما تملكه من طين ومواشى حتى الدار. مازال يذكر كيف كان يحرقها بماء النار ثم يكتم الجرح بالملح لتصرخ المسكينة وتبصم على عقد وهكذا حتى جردها مما تملك ثم ألقاها بثوبها المتهالك على قارعة الطريق تتكفف الناس .. وعاد عبد الجبار الى القاهرة مرفوع الرأس بداخله شعور بالارتواء المؤلم وكأنه كان ظمآن لألف سنه ووجد نفسه فجأة فى حضن النيل فشرب نصفه..ولكنه فوجيء بسكين ينغرس فى بطنه ويطالب بنصيبه من الماء كان ذلك علاء بك يطالب بنصيبه من التركه والاطيان لم ينس عبد الجبار الجشع الذى طل من عينى علاء وهو يقول:

– عشرين فدان يا عسكرى؟ وخمسين راس مواشى؟ انت مش شايف ان الوليمة كبيرة عليك لوحدك؟ وبعدين متنساش انى انا اللى جهزت لك العقود وانا اللى دليتك على الطريق اللى تاخد بيه حقك

انتفض عبد الجبار غضبا وخوفا فى آن واحد وقال بصوت مقهور ومبحوح:

– طلباتك يا علاء بيه؟. وضع علاء يده على كتف عبد الجبار قائلا:

– شوف يا سيدى أنا مش من هواة المواشى وهاسيبلك الدار كمان.. ثم مال على العسكرى الذى تحول وجهه إلى اللون الأزرق قائلا:

– أنا عايز الأرض

www.alkottob.com

وأسقط فى يد عبد الجبار .. صمت لمدة لا يذكرها كل ما يذكره هو أنه صرخ فجأة فى وجـــه عـــلاء ولأول مرة منذ زمن يستطيع عبد الجبار نطق جملة كاملة بدون تلعثم :

– إلا الأرض يا علاء بك

اتسعت عينا علاء فى ذهول ثم صرخ فى وجه عبد الجبار:

– نعم يا روح أمك؟ ده لولاى ما كنتش خدت اللى خدته يا غبى

– دى أرض دفعت ثمنها غالي.. دفعت فيها عمرى كله أنا ممكن أراضيك يا باشا لكن تأخذ الارض كلها ده بعينك

لم يدر بعدها عبد الجبار من أين يأتيه الضرب لكنه خرج من مكتب علاء بك وجسده أزرق اللون من آثـــار الركلات والضرب بكعب المسدس الميرى وذهب الى عنبر النوم متورما ولم يجـــرؤ أحـــد العـــساكر علـــى الاقتراب منه أو سؤاله عن سبب ما حدث ودخل حسن العسكرى الفلاح الذى كان مبهورا بقوة عبـــد الجبـــار وقربه من الباشا كان معه كوبا من الشاى قدمه لعبد الجبار الذى احتساه ثم غاب فى غفوة وأفاق علـــى آذان الفجر لم يكن حسن موجودا فى عنبر النوم ولم يكن سلاحه الميرى موجودا أيضا .. تفاصيل كثيرة مرت فى ذهن عبد الجبار منذ محاكمته عسكريا لضياع سلاحه الميرى فطرده من الخدمة ثم اختطافـــه مـــن الـــشارع والزج به فى زنزانة الحبس الانفرادى فى ليمان طرة.. لقد كافح كثيرا بل ووضع يده فى يد قاتل أبيه وأمـــه حتى يصير من الغفر ثم صار من العسكر وفى اللحظة التى ظن فيها أنه بلغ مراده أخيرا وملك الدنيا ها هو الان ملقى فى زنزانة مظلمة مجردا من شرائطه ومن حلته الميرى

وأشرقت الشمس منقبضة القلب فى ذلك اليوم وكانها كانت تشعر بحجم الكارثة الموشكة على الوقوع كانـــت مصر قد شهدت خمسة تفجيرات كبرى فى القاهرة وشرم الشيخ وأسوان وانتشرت أعمال البلطجة الجماعيـــة المنظمة وصار المواطن العادى لا يجد حماية إلا لو كان إخوان سواء بالتنظيم أو بالتعاطف، أو أمن إما بحكم الرتبة أو بالعمل لصالح جهة أمنية ما سواء أمن دولة أو أمن قومى أو حتى فى حمى فـــلان بـــك أو عـــلان باشا..فى ذلك الصباح تم الإعلان عن وفاة رئيس الجمهورية وتم تحديد موعد لإقامة الانتخابات الرئاسية بعد أربعين يوما وكانت الشروط اللازم توافرها فى المرشحين و التى نص عليها الدستور المصرى بعد عشرات التعديلات التى جرت عليه لا تنطبق إلا على أربعة أشخاص وهم: ابن الرئيس الراحل والذى كـــان يحمـــل الجنسية الانجليزية بجوار جنسيته المصرية ورجل أعمال ملياردير و المرشد العام للاخوان المسلمين الـــذى نجح فى انتخابات برلمانية تم وصفها بالاعجوبة وقتل فيها مئتين وخمسين من كوادر الاخوان والمتحمـــسين لهم أما الرابع فقد كان مرشحا شابا والده من أقباط المهجر وأمه من يهود اسرائيل..

وقف بيتر عونى مدير مكتب احدى الفضائيات أمام الكاميرا موجها خطابه للمشاهدين قائلا:

– ان الاسابيع القليلة القادمة هى أخطر مرحلة تمر بها مصر .. ترى هل يصمد هذا الوطن الذى أشرق فيـــه فجر الضمير أم أن شمس مصر ستغرب فى بحور الحرب الأهلية التى شبت فى الشوارع والحارات حتى فى مقار الأحزاب السياسية ؟ لقد تحول الصراع فى الماراثون الرئاسى إلى قتال فـــى بعـــض الأحيـــان ومـــن المعروف أن رجل الأعمال الشهير قد تراجع عن الترشح لمنصب الرئيس لصالح صديقه ابن الرئيس الراحل الذى يلقى مساندة الحزب الحاكم ورجال الاعمال ورجال الشرطة .. بينما تقف قطاعات عريضة من الشعب مع مرشد الاخوان بينما لم يقل الجيش كلمته بعد وما يزال موقف الجيش غير واضحا حتى هذه اللحظـــة وإن

www.alkottob.com

كان وزير الدفاع قد صرح أن الجيش موقفه محايد حتى هذه اللحظة ولكنه سيتدخل إن تم تهديد النظام ولا يعرف أحد متى سيشعر الجيش بالخطر والشوارع تكاد تغرق فى بحور الدم؟ أما عن المرشح الرابع فهو مازال شديد الغموض ولم يعلن عن برنامج انتخابى محدد وإن كان يلقى قبولا فى أوساط الأقباط ويهود مستوطنة أبى حصيرة الذين بلغ عددهم طبقا لآخرالإحصاءات ألفى يهودى. ترى من منهم سيحكم مصر؟

وتنزل التيترات لتعلن نهاية الحلقة وينزع بيتر السماعة من أذنه فى نفس اللحظة التى يقتحم فيها الاستديو خمسة رجال مسلحين يرتدون الملابس الميرى ويتقدمهم ناجى ضابط الجيش

فيسألهم بيتر مندهشا:

– ايه ده ؟

ويجيبه الضابط بابتسامه عريضة:

– الجيش قال كلمته

كانت جماعة ضباط من أجل التغيير والتى انضم لها مؤخرا وزير الدفاع نفسه قد استولت على كل استديوهات التلفزيون المصرى ومعظم مكاتب الفضائيات العربيية والاجنبية فى مصر وتولت العناصر القليلة التى تنتمى الى الشرطة وبمساعدة ألوية من االجيش القاء القبض على كبار رجال الداخلية والجيش وتصفية بعضهم جسديا كما استولوا على الكثير من أقسام الشرطة وأحكموا قبضتهم على العساكر والاسلحة بل واستعانوا ببعض المحتجزين فى هذه الاقسام بحجة انهم جاؤوا لانقاذهم من التعذيب والامتهان وكان النمنم ذلك النشال السابق محتجز فى قسم الشرطة بتهمة نشل محفظة أمين شرطة وخرج من الحجز سعيدا بالثورة وهم بالتقاط سلاح من السلاحليك لينضم للضباط الاحرار كما سماهم عندما اصطدمت عينه بعلاء بك ضابط أمن الدولة الفاسد الذى حقق معه والصق به تهمة التظاهر التى ألقت به فى ليمان طرة وقتها عادت الذاكرة بالنمنم إلى المعتقل وتذكر وائل الليبرالى الذى قال له يوما ردا على سؤاله حول إمكانية أن يحكم الجيش ويصلح الحال مثلما فعل الضباط الأحرار وقتها ضحك الاستاذ وائل ثم قال للنمنم:

– الجيش من الممكن أن يحمى ديموقراطية موجودة بالفعل لكنه لا يصنع ديموقراطية ولا يمارسها .. وقتها لم يفهم النمنم حرفا واحدا مما قاله أستاذه ولكن وجود علاء أمامه لم يريحه فآثر الفرار إلى منزله فى الدويقه والاختباء هناك ولكنه لم يكد يصل إلى هناك حتى فوجىء بعدم وجود منزله ولا عشرين منزلا مجاورين له وعندما رأى الكتلة الصخرية الضخمة تحتل مكان البيوت المختفية حتى علم أن ما حدث فى ٢٠٠٨ قد حدث مرة أخرى وتذكر خيبة الجيش وقتها وكيف أن الأهالى كانوا يحفرون الانقاض بأظافرهم بحثا عن ذويهم.. ولكن هذه المرة لم يكن هناك أهالى ولا خيام وهام نمنم على وجهه فى شوارع المحروسة وهو يسب ويضحك بهستيريا:

– أموت واعرف مين ابن المتضايقة اللى سماها محروسة .. دى موكوسة .. مهروسة..

وقادته قدماه الى منزل وائل زميل المعتقل المثقف دق جرس الباب فتح له وائل الذى كانت عيناه مغرورقتان بالدموع وخلفه شاشة تلفاز تعرض مشاهد القتال فى الشوارع ألقى نمنم نفسه فى أحضان وائل وقال بصوت تخنقه الدموع:

– مين اللى سماها محروسة يا أستاذ ؟ أموت واشوفه ابن الوسخة..وانخرطا فى البكاء سويا..

---

www.alkottob.com

..خرج بيتر من الاستوديو والذهول يعتريه ، لطالما كان رأيه أن النتيجة الطبيعية لما حدث فى مصر طيلة السنوات الماضية هو انقلاب عسكرى لنظام الحكم أو ثورة شعبية يركبها الاخوان المسلمون لكن أن تتوقع شيئا غير أن تراه بعينك، وما حدث على أرض الواقع لم يكن مجرد انقلاب بل كان انقلابا دمويا عنيفا مصحوبا بحركة اعدام لمعظم رموز الحكم فى العهد السابق، انقلاب لم يأت إلا بعد ثورة للجياع اندلعت فى شوارع مصر كانت ثورة أبشع فى ضراوتها من الثورة الفرنسية .. وفجأة انتزع بيتر من أفكاره انتزاعا على جذع شجرة يلقى فى طريق سيارته ويجبره على التوقف. وترجل بيتر ليجد نفسه محاصرا من مجموعة ممن كان يسميهم قبلا بالجياع كانت رؤيتهم عن قرب ونظرة الجوع والحقد تتملكهم.. كان منظرهم مرعبا لبيتر الذى عاش عمره فى أمريكا فى رفاهية ورخاء .. كانت أظافرهم متسخة وطويلة وشعورهم غير مصففة ومن بينهم كانت امرأة لم يتبين جمالها من قبحها من ذلك التراب الذى غطى وجهها .. اقترب أكثرهم ضخامة من بيتر وأمسك بياقة قميصه الذى بلله عرق الخوف والحر وهزه بعنف قائلا:

- الأمور ابن مين فى البلد بقى؟ ارتجف بيتر وازدرد لعابه فى بطء دون أن يستطيع الرد وهاجمه آخر وراح يفتش فى جيوبه حتى وجد محفظته فأخذها وراح يعد النقود التى بها وهجم عليه جائع ثالث وهو يلهث:
- ده لابس سلسله دهب

وانتزع السلسه وراح ينظر لها فى سعاده بينما صرخت المرأة :

- إيه ده ؟ ده صليب.. الجدع مسيحى

اعتصره الضخم فى قبضته قائلا:

- انت وقعت ولا الهوى رماك.. والتفت ناظرا إلى من حوله :
- تلاقيه ابن الجدع ده اللى اسمه ساويرس.. ثم نظر إلى بيتر متوعدا:
- ده انت وقعة أمك سودة

وانهار بيتر باكيا :

- لأ .. أرجوك شوف انا معايا كريديت كارد وخدوا العربية ..وخلع الساعة قائلا:
- والساعة دى تمنها خمس تلاف جنيه خدوها مش عايزها بس سيبونى أروح..

وضحكت المرأة ثم اقتربت منه قائلة:

- والنبى حلو واسمرانى .. ثم اقتربت منه أكثر هامسة:
- ما تسلم واتجوزك يا عسل

وانهار بيتر على ركبتيه غير مصدق لما يحدث عندما انقضت عليه المرأة تقبله فضربها الضخم ثم استدار إلى بيتر وأوسعه ضربا بمشاركة الآخرين حتى طرحوه أرضا بين الوعى والإغماء وأخذوا السيارة وفروا بها بعيدا.. وظل بيتر يرتجف من الألم والصدمة ولم يدر كم من الوقت مضى عليه وهو فى هذه الحاله حتى استطاع أن يستجمع قواه وينهض ليكتشف أن وسيلة المواصلات الوحيدة المتاحة أمامه حتى المنزل هى قدميه وكان الاكتشاف فى حد ذاته مرعبا ولكن لم يكن أمامه اختيارات وبدأ الرحلة التى شاهد فيها العجائب ، جثث فى الشارع فاحت رائحتها دون أن تجد من يدفنها ، شعارات ضد ابن الرئيس وضد الحكم والحزب الحاكم على الجدران، منشورات ملقاة على قارعة الطريق تدعو الناس للتوحد خلف راية الإخوان ، ودبابات تسر فى الشوارع بدلا من السيارات وأوتوبيسات النقل العام، مصاحف ممزقة وملقاه على الأرض وراهبة مقتولة ونصفها السفلى ممزق بكل ما تحمله الكلمة من

www.alkottob.com

معنى وفى منتصف الطريق انتابته حالة من الرعب عندما رأى مجموعه من الملتحين ذوى الجلاليب البيضاء يقتربون من راهبتين وقفتا تنتحبان جوار جثة زميلتهم ، فقفز إلى صندوق كبير للقمامة كان فارغا حيث نبشه الجياع وأخرجوا كل ما فيه وأخرج عينيه ليراقب ما سيحدث ورسم صليبا على وجهه وصدره ودعا الله ودعا الله أن يسامحه لأنه لن يساعد هاتين الراهبتين ولكنه فوجيء بهما تخرجان مسدسان وتطلقان الرصاص على الرجال ذوى الجلاليب البيضاء.. كان ما يراه ضربا من الجنون لم يصدق عيناه لم يصدق كل ما سمعه من قبل عن التعصب والفتنة فى مصر، فقط كان يصدق إن كانت الضحية من الأقباط، فقط كان يصدق عندما يكون الجانى من الارهابيين الاسلاميين. عندما جاء إلى مصر بصفة شبه دائمة للعمل والإقامة جاء بحبه للبلد وإيمانه أن الأقباط مضطهدون فيها وبأنه نصف خواجه وهو ما يجعله مميزا عمن يعيشون فى مصر من المسلمين أو حتى من أتباع المسيح وظل قرابة نصف الساعة مختبئا فى صندوق القمامة وعندما شعر بهدوء نسبى فى الشارع قفز إلى الخارج وراح يعدو بكل قوته فى اتجاه منزله فى المهندسين وعندما وصل اندفع إلى المصعد وبمجرد أن أغلق باب المصعد انهمر فى البكاء وتوقف المصعد وبمجرد أن خرج بيتر منه اصطدمت عيناه بباب شقته وقد انفتح على آخره واصطفت بعض أغراضه فى كراتين مفتوحه وتوجه ببطء نحو الشقه والخوف يعتريه وقد تيقن أن ثمة من اقتحم شقته وفى نفسه قال :

- مش مهم. ياخدوا اللى ياخدوه المهم يسيبوا السرير

وسمع صوت البواب فاطمأن وخطر له أن البواب قد طرد المقتحمين ودخل الشقه ليجد زوجة البواب تمسك فى يدها اليمنى مكواة وفى اليسرى خلاطا وراحت تنادى على زوجها :

- متنساش الانسلال الدهب أبو قلوب والمادالية الحلوة دى الالماظ والا ما ادرى البلاتينه

وصرخ بيتر :

- انتو بتعملوا ايه يا حيوانات؟

وصرخت زوجة البواب ليأتى زوجها وفى عينيه نظرة تفيض كرها واستهزاءا فى ذات الوقت:

- انت شرفت يا خواجه؟؟

أشار بيتر بيديه إلى الباب :

- امشى اطلع بره انت والحيوانة دى
- نطلع بره؟ نروح فين ؟ دى بلدنا ..انت اللى تطلع بره يا مستر بيتر

وانقض عليه بيتر ولكمه فى أنفه صارخا :

- انا قلت تطلع بره يبقى تطلع بره .. fuck you
- انت هاترطن بالانجليزى يا ابن المجنونة ؟

وهجمت زوجة البواب على بيتر وأوسعته ضربا ثم تناولت المكواة وقذفتها فى وجهه لكنها أخطأت التصويب فجاءت فى رأس زوجها الذى استشاط غضبا:

- ملكيش دخل انتى يا مرة

وطرح بيتر أرضا وراح يخنقه بقسوة حتى كاد يلفظ أنفاسه الاخيره ثم تركه قائلا:

- أنا هاسيبك تمشى ومش هاموتك بس حسك عينك ترجع تانى انت فاهم؟؟؟ ثم حمله حملا وألقاه خارج الشقة وأغلق الباب ووقع بيتر على وجهه أمام شقته وراح يعبث بالكراتين المصطفة خارج

www.alkottob.com

الباب وأخذ منها بعض الأغراض على عجل وغادر الشقة والبناية كلها وفى طريقه وجـــد إحـــدى الفيلات المهجورة فقفز الى داخلها وبدا فى فرز الأغراض كان هناك قميصان وبلوفر شتوى وحقيبة صغيرة بها بعض الأوراق وكان على السطح ملف بعنوان " اضطهاد الأقباط فى مصر" وابتسم بيتر فى سخرية ثم تناول أول ورقة وراح يعيد قراءتها مرات عديدة فاليوم يراها بمنظور جديد يجعلـــه يدرك كم كان غبيا ومضللا قبل ذلك وبدأ يقرأ الرسالة بتأنى للمرة الثالثة وكان هذا نصها:

احمد المسلم ذبح شريكه القبطى رومانى راجى عبده باسوان

ومازال مسلسل اضطهاد و قتل الاقباط مستمرا لاجبارهم علي الدخول في الاسلام او يقتلون علي يد الجماعه الارهابيه الاسلاميه في كوم امبو في اسوان و بسبب بعض شيوخ الازهر فهذه هي نتائج و ردود افعال تعاليمكم علي الشباب المسلم فيعتقدون ان كل المسيحيين كفره و يجب ان يدخلوا في الاسلام او يقتلوا و اقربها البارحه الشيخ محمد اسماعيل قال ان المسيحي لو مات في القتال لا يعتبر شهيدا و لايدخل الجنه ==== الخ و لكن عشمي الان في القضاء المصري غير الوهابي انظروا الي حميه و غيره القاضي في الشرقيه للسيده المسلمه التي اغتصبها ١٠ مسلمين و اصدر حكما باعدامهم جميعا فهل يا تري نامل في حكم مماثل و عادل من القضاء المصري لاحمد القاتل المسلم للمسيحي روماني من كوم امبو اسوان لكي يجبره علي الدخول في الاسلام فرفض فقتله ارجوكم ارجوكم نهضه مصر و تقدمها و وقف هذه الاعمال الاجراميه في يد القضاء الان لا نريد قاضي ينخدع باقوال زائفه من المحامين او يميل الي تصديقهم و يصدق الادعاء الكاذب بان روماني كان علي علاقه بزوجه احمد القاتل اظن شبعنا من هذه الفكره كما حدث في دفش بالمنيا من الحكم علي المسلم قاتل الشاب المسيحي بسنه سجن مع وقف التنفيذ ارجوكم يا قضاه مصر اوقفوا سرطان الفتنه الطائفيه باحكامكم العادله

كلما قتل قبطي قال لة محامي الشياطين قل انة كان علي علاقة جنسية مع امي او اختي او زوجتي او ابنتي

www.alkottob.com

وكان الاقباط ناقصين نسوان او كان نساء المسلمات هكذا في منتهي السهولة ثم ياتي قاضي القت بة الظروف السوداء والجهل والتاخر والتعصب الاعمي الي اقدس مكان وهو كرسي القضاء المقدس فيحكم كالاعمي تسوقة غباوتة وتعصبة وانا لا القي الاتهامات جزافا افيدونا يا اهل الخير كم قاتل مسلم تم تنفيذ حكم الاعدام فية ؟ الم يقل قاضي الظلم للمنتصرة مرثا لو معي سكين لذبحتك يا للفضيحة يا مصر الي اين ذهب بك مبارك والي اين سيذهب ؟ هل الي المحكمة الدولية ام الي خراب مصر ام الي نهاية مصر المحتومة نحن نثق في عدل الله هل تذكروا ايام استخدمتم الكيماوي لقتل الشعب اليمني بعدها كانت فضيحة ٦٧ وهل نسيتم ماذا حدث بعد مذبحة الكشح ؟ الم يحرق الرب قطارا بمن فية الم تغرق عبارة بمن فيها يا مسلمو مصر خافوا من يوم تقولون فية للجبال انطرحي وغطينا ويا اكام اهبطي علينا من وجة الله العادل الجالس علي العرش واقول لاهلي الاقباط لا تخافوا ولا ترتاعوا نموت بالسرطان بالمرض بالحوادث لا يهم ولكننا سنموت رجالا وعلي اسم سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح نحيا ونموت اما اولاد الاثم والهلاك فهم للهلاك يدعون وليتمجد اسم الرب ولتكن اجسادنا ذبيحة حية لمجد اسمة للابد وكما قال موسي النبي العظيم (قفوا وانظروا خلاص الرب) يسوع قريب

الي اسرة الضحية والي كل قبطي فوق العالي عليا وفوق المتسلط متسلطا وفوق الكل واحد هو الله لقد تفرعن الارهابيين بسبب خوف الحكومة منهم بل وتعاونها معهم في الاهداف وترك الحبل علي الغارب لهم في اتفاقيات علي حساب الاقباط ولم يعرفوا ان عدل الله لا يهتز ليقرواء سفر اشعياء ماذا سيفعل الرب في كل فرعون وكل متفرعن قريبا سنراكم تبولوا امام صغيرات جيش دفاع اسرائيل وتبكوا وتتباكوا للمجتمع الدولي طالبين الرحمة والعفو والرضا وتتفرعنوا علينا نشكوكم لله الي كل مسلم في المنتدي هل تتوقعوا ان يكون راينا في الاسلام ايجابيا ؟؟ وانتم تقتلوا اهلنا وتحرقوهم نشكوكم انتم وما توءمنون بة لله الحقيقي العادل

–

رئيس الجمعيه الوطنيه القبطيه الامريكيه

.. أقام علاء وانتصار حفل عشاء عائلى فى أحد المطاعم العائمة بالزمالك بمناسبة زواجهما وبعد انتهاء الحفل اصطحبها إلى شقة خالها فى الحى الراقى حيث استقر رأيه على أنها أنسب مكان لعش الزوجية ، أنسب بكثير من شقته فى حى فيصل ومن الإقامة مع أمها التى صارت وحيدة بعد وفاة والـد انتـصار ودخلا الشقة فى صمت فتح الباب ودخل إلى غرفة الجلوس أضاء النور وجلس ، وأغلقت انتصار بـاب الشقة ودخلت خلفه متألمة من تجاهله وازدرائه ولكن – ولدهشتها– شاعرة بنشوة لا تعرف لهـا وصـفا تلك اللذة التى صارت تشعر بها فى كل شىء يحدث لها على يد علاء من إهانات وضـرب وممارسـة عنيفة فى الفراش .. تلك اللذة المريضة التى تدفعها دفعا إلى الاستحمام بماء ساخن لدرجة الغليان أحيانا .. كم أحبت وائل ولكنه كان وديعا لدرجة مقززة ، رقيقا إلى حد يصيبها بالغثيان ، لو أنه فقط كان قاسيا معها قليلا، لو أنه لم يحترمها بهذا الشكل، لو أنه قابلها قبل كل ما حدث لها..

– بتعملى ايه يا مدام؟ هستناكى الليل بطوله ولا ايه؟

انتزعها صوت علاء من خواطرها فخلعت حجابها وألقته على الأرض وهرولت إليـه وهمـت بخلـع الفستان لولا أن أوقفتها نظراته المستهترة الباردة وهو يقول :

– أنا مليش نفس.. زى ما تقولى كده نفسى غامة عليا .. ثم وضع ساقا فوق الأخرى وسألها:

www.alkottob.com

- عندنا ايه يتاكل؟ أصلى جعت والعشا مكانش أد كده فى الأوتيل

انهارت انتصار على أقرب مقعد وقد أصابها الاحباط وقالت بحذر:

- بس انت أكلت كويس هناك .. ده انت اكتر واحد أكل
- انت هاتعدى عليا الأكل يا روح امك.. قومى ومتورنيش خلقتك غير لما السفرة تكون جاهزة .. وقامت انتصار إلى المطبخ وراحت تعد الطعام وجاءها للمرة الألف نفس الخاطر أن تتناول سكينا حامية وتذبحه بها ذبحا لكنها تذكرت آخر مرة فعلتها وكيف انهار كرهها له أمام كرههـا لنفسها فألقت السكين وانهارت تحت قدميه ليوسعها ضربا.. لطالما كرهت نفسها منذ طفولتها كان والدها غاضب عليها باستمرار لم يحدث أن أخطأ مرة واحدة وأخذها فى حضنه ، كان يوسعها ضربا لأتفه الأسباب وشبت كارهة لنفسها معتقدة أن كل ما تفعله بنية حسنة ينقلب عليها وعلى من حولها شرا ، لم تكن راضية عن نفسها كانت تقف بالساعات أمام المرآه وتفكر ماذا لو كانت أقصر قامة ؟ لماذا تكون بهذا الطول الذى يجعلها لا تجيد الاختفاء وان حاولت؟ ولماذا لم تكن بشرتها أفتح من ذلك ؟ حتى جسدها الفائر كانت تعتبر بروزاته عيوبا واستدارته عاهة.. وحده خالها كان يعطيها بعضا من الثقة وقليلا من الاحترام لذاتها .. لم تشعر يوما بالاشباع كانت فى داخلها جائعة ولا تدرى ما الذى يمكنه أن يشبعها ويطمئن خوفها المسعور الذى كان يأكلها من الداخل عما تلو الآخر دون أن ترى له مبررا منطقيا منذ صغرها كانت تعاقب نفسها بالامتناع عن الطعام وبالبكاء وعدم النوم الا انها صارت عنيفة مع نفسها بعد أن عرفت علاء وذاقت الأمرين على يديه وعلى يد عبد الجبار ذلك العسكرى المقزز المتوحش كالحيوانات.. كثيرا ما سألت انتصار نفسها هل يعقل أن يكون هناك بشر بهذا التوحش ؟ لم يكن لدى عبد الجبار كلمات بل لكمات لم تكن لديه مشاعر بل انفعلالات يفرغها فى جسدها وهى راضية ، كانت تبكى بين ذراعيه وبداخلها رضا لأنها تؤمن ان هذا هو ما تستحقه فهى لا تستحق حنانا ولا حبا ، كان داخلها هاجس يؤرقها أنها مثل عبد الجبار حيوانة لكن الله وضع الحيوان بداخلها فى قالب جميل من الأنوثة الفائرة . الشىء الوحيد الذى جعل انتصار تشعر فى مرحلة من مراحل عمرها بالاحترام كان عملها فى السياسة لكن المفارقة التى تضحكها أن عملها فى السياسة كان هو ما جر عليها كل هذه المآسى المروعة، وهو ما جعلها تكره مصر وتكره أهلها فقد اكتشفت من خلال قربها من المعارضة أن معارضة مصر أسوأ من حكومتها وأن المسأله لا تتعدى كونها حسابات مصالح فهناك من رأى مصلحته مع النظام وهناك من اكتشف أنه فى المعارضة يكسب أكثر وفى النهاية كانت هى وغيرها من المغفلين الذين صدقوا الشعارات الجوفاء ضحايا لهذه المهزلة السياسية. وخرجت انتصار بالطعام ووضعته أمام علاء الذى ابتسم قائلا فى مرح له بريق المعادن:

- ما تيجى نلعب لعبة جديدة .. نظرت له انتصار فى شغف وابتلعت ريقها فى صعوبة وقالت:
- أنا تحت أمرك
- أنا ارميلك الأكل على الأرض وانتى وطى وكليه من غير ما تستعملى ايدك خالص ولو استعملتى ايدك هاجلدك بالكرباج السودانى الجديد

وهزت انتصار رأسها بالموافقة فألقى لها بقطعة لحم بعد أن داس عليها بالحذاء وعندما همت انتصار بالتقاطها داس بحذائه على رأسها لتتأوه فى ألم يشعرها بالاشباع المهين وفى داخلها انحدرت دمعه ساخنة

www.alkottob.com

عندما تذكرت ما قاله لها وائل فى أحد لقاءاتهما عن أبطال المعارضة أيام العهد البائد- كما يسميه علاء- كان وائل يقول لها:

- يا حبيبة قلبى انتى بريئة ومش فاهمة الموقف فى أوساط المعارضة.. مش بس جوزك اللى بيعيش فى ازدواجية.. المعارضين كلهم كده اللى يتشهر منهم ويبقى بطل اعرفى انه أكثرهم استفادة من المبادىء وان المخلص الحقيقى بيضيع عارفة ليه يا حبيبتى؟ لأن فى مصر البطولة بأجر والاستشهاد مجانا.

استقل عماد سيارته الفارهة فى فخر وتوجه إلى مقر محكمة الثورة التى تم اختياره فيها كقاضى للحكم فيما يسميه الرأى العام بقضايا التصفية أى تصفية أذناب العهد البائد والنظام الفاسد.. وقد خرج عماد من منزله وقد عقد العزم على أن يصفيهم واحدا واحدا فهى فرصة عمره لكى يصبح بطلا قوميا كما كان يحلم فى مراهقته ، ذلك الحلم الذى نسيه مع عمله فى النيابة وزواجه بامرأة تفتقر إلى الأنوثة، كل مقوماتها أنها ابنة مستشار كبير ومسنود مع الوقت بدأ يشعر أنه صار بطلا بحق مع الثروة والنفوذ.. ورغم شعوره بالحنين للحلم القديم إلا أن عقله كان يفيقه فى اللحظة الأخيرة كى لا يضيع كل ما كسبه وصل اليه ، وبمجرد وصوله إلى المحكمة جلس مزهوا بنفسه شاعرا بالعظمة والارتواء وكاميرات التلفزة موجهه إليه وهو يحاكم ابن الرئيس السابق وعصبته وبالطبع جاءت الأحكام رادعة ما بين اعدام ونفى ومصادرة أموال.. وكتب بيتر فى مذكراته عن أحكام محكمة الثورة قائلا:

" كانت أحكاما باردة مزيفه رغم حدتها الظاهرة ..أحكام لم تأت من غضب حقيقى بل جاءت من نفوس أمارة بالسوء كل ما كانت تسعى إليه هو مزيد من الشهرة والفرقعة الاعلامية . كانت الجلسه التى يرأسها مستشار ذو ميول إسلامية تصدر الأحكام جزافا على كل علمانى أو يسارى حتى وان كان متدينا فى حياته الخاصة وكانت الجلسه التى يرأسها مستشار من محكمة أمن الدولة فى العهد البائد تسفك دم أى شخص كان له علاقة ولو سطحية بالحزب الوطنى أو بالحكومة المخلوعه وكأنهم يطهرون أنفسهم بدماء الآخرين من تهمة الدياثة السياسية فى العهد الماضى، وفى كل جلسه كان هناك مندوبان من الجيش أو بعض قطاعات الشرطة يسجنان رئيس الجلسه بينهما وكأنهما ناكر ونكير، كانت أحكام الثورة حق يراد به باطل وخير أتى على يد رجال امتهنوا الشر عقودا طويلة من الظلم والظلام.. ليت كل رجال الثورة كانوا مثل ناجى ذلك الضابط الوسيم الجرىء الذى يتمتع بقدر كبير من الصدق والمحبة للوطن، كان ناجى مسلما مخلصا ومصريا صادقا لكنه ذهب بلا رجعه فمثله لا يعيشون فى وطن صار مرتعا للذئاب ولكن أنى له أن يستمر فى ثورة اقتسمها الجيش والأخوان فقسموا ظهرها وقلبوا حقها باطلا ثم انقسم الاخوان وأقاموا محكمة القيم .. أول محكمة لا تنعقد لها جلسات ولا يدافع فيها المتهم عن نفسه والحكم فيها ينفذ فوريا وبلا تريث.. حتى غرقت مصر فى بحور الدم من جديد بعد هدوء نسبى لم يدم شهورا قليلة".. كتب بيتر هذه السطور قبل أيام من مطاردة نفس المحكمة له بدعوى أنه من المبشرين وعملاء الاستعمار الكافر وأنه جاسوس للولايات المتحدة الأمريكية ولدولة اسرائيل وبالطبع لم يفت الإمام الاكبر للجماعة وهيئة العلماء أن يهدروا دمه، وبعد أن وجد بيتر أن استمراره فى الدير صار خطرا عليه بعد أن صارت الجوامع والأديرة ساحات للحرب الأهلية ولتصفية العناصر المارقة من أتباع الديانتين على

www.alkottob.com

حد سواء ، وبعد أن صدر له كتاب عن عظماء الاسلام وذلك بعد ان دعته الفتنة الى دراسة الدين الاسلامى داسة وافيه جعلته يتحول من احتقار الاسلام الى احترام تعاليمه وجعلته يفرق تماما بين من يراهم من المسلمين فى الشوارع يقتتلون على اهون سبب ويكفرون الآخرين وبين الاسلام وهو ما كان كفيلا بإهدار دمه من قبل بعض رجال الكنيسة وتهميشه من قبل جماعات أقباط المهجر فلم يجد لنفسه ملجأ إلا عند وائل الذى تحول منزله الفاخر الى ملجأ للمطاردين والمغضوب عليهم من بيتر المصرى الامريكى إلى النمنم اللص البسيط الذى صار وطنيا بالصدفة.. إلى عبد الجبار ذلك العسكرى الذى بطش بهم فى المعتقل قبل ذلك وصار كسيرا ذليلا لا حول له ولا قوة . فى هذا البيت قضى بيتر أسعد وأغلى أيام عمره ، فى هذا البيت صار بيتر مصريا مصريا بعد أن تخلص من رواسب التفوق الأمريكى ونزعة التكبر والفخر التى كانت تملأه عندما يناديه الناس: يا خواجه ولأول مرة يأكل بيتر الفول المدمس والكشرى ولأول مرة أيضا يبكى من اجل مصر وعلى حالها فقد صار يحبها كوطن بعد أن كان يحبها كبلد سياحى يقضى بها اجازاته ويفتخر أمام الأمريكان بأنه حفيد تلك الحضارة العظيمة ثم يعود فينكر صلته بمصر المعاصرة أمامهم. أصبح بيتر ينزعج لو أخطأ النمنم وناداه بكلمة خواجه ويضحك من قلبه عندما يمسك عبد الجبار بالنمنم ويوسعه ضربا على قفاه عندما يسرق الأخير الخبز من تحت مخدته. كم تمنى لو أن تلك الأيام تدوم وتزول الغمة عن مصر ، كم مرة حسد فيها وائل وهو يحكى عن طفولته فى رمضان وعن الفوانيس والكنافة وألف ليلة وليلة والفوازير، حتى النمنم اكتشف بيتر انه قضى أوقاتا سعيدة وساحرة فوق سطوح بيتهم فى الدويقة وعند أصدقائه فى الحسين والسيدة عيشة وعن حفلات شعبان عبد الرحيم وأغانى شفيقة التى كان يحب عليها توحة بنت الجيران التى ماتت محروقة بعد انفجر فى وجهها وابور الجاز.. وجد بيتر نفسه واكتشف انه كان يحيا حياة شخص غيره لا حياة تليق بمواطن مصرى ..ولكن للأسف كان يشعر وكأنه ولد تائه تعرف على أمه بعد موتها فما الذى سيفعله الآن وقد صارت شوارع مصر ملتهبة وقاسية وفى داخله شعر بالندم لأنه لم يأكل ترمس على شاطىء النيل ولا تذوق القطائف فى رمضان ولا واظب على حضور الكنيسة كل أحد حتى عندما اختبأ فى أحد الاديرة لم يقرب الصلاة ولم يشعل شمعه واحدة.

أما عبد الجبار فقد كان نادما على شىء واحد فقط ..أنه لم يستجب لعلاء بيه. كان دائما يؤنب نفسه على غبائه الذى ضيع منه كل شىء فى لحظة غباء وعند لقد عاش عمره كله لا يقول سوى نعم وحاضر وأوامر سعادتك ، وعندما قال لا للمرة الوحيدة فى حياته خسر كل شىء. صحيح أن وائل كان يعامله معاملة حسنة وأن النمنم وبيتر تقبلوه وعاملوه بلطف لم يشاهده فى حياته من قبل إلا أن كل هذا لم يكن يرضيه. كان شبح الخوف يحوم فوق رأسه وهو يتخيل فرقة من الجيش أو مجموعه من الآمرين بالمعروف يقتحمون بيت وائل ويعدمونهم جميعا بلا رحمة .. كان متيقنا فى داخله ان ذلك سيحدث ان آجلا أو عاجلا وهو لم يكن يريد الموت بل كان الانتقام هو الشىء الوحيد الذى يتحكم فيه، رغبة شديدة فى الانتقام من أى شخص وبأى وسيلة كان وائل فى نظره رجل ثرى لا يدرى أين ينفق نقوده أما بيتر فهو خواجه يعانى من فراغ قاتل يريد ملأه بالأحداث الدامية والنمنم مجرد شخص حقير كأهل قريته الذين أدمنوا العيش فى القذارة كالخنازير، يقبلون بالفتات ويضحكون على خيبتهم. لقد سقطت من عبد الجبار أشياء كثيرة فى رحلته لكن شيئا واحدا ظل ملازما له كظله يجرى فى عروقه الصعيدية .. الثأر ، ذلك الحلم الذى يؤرقه ليلا ويعذبه نهارا لدرجة أنه كلما رأى الشوارع تفيض دما وتشتعل عنفا كان يشعر بالارتواء ولذلك لم يتوقف عن ضرب النمنم حتى بعد أن صارا يتشاركان الفراش واللقمة ولم يحب بيتر

www.alkottob.com

رغم معاملته الحسنة ووجهه البشوش ولا شعر أنه يمكن أن ياتى عليه اليوم الذى يخدم فيه وائل كما كان يخدم علاء بك ولذا لم يتحمل عبد الجبار البقاء فى بيت وائل أكثر من ذلك، وذات صباح استيقظوا ولم يجدوه بينهم، الغريب أنهم حزنوا لفراقه فالنمنم بكى كثيرا وقال انه كان يؤنس وحدته فى الليل وكان يستمع بلا ملل لحديثه الذى يستمر حتى الصباح .. لم يكن النمنم يعلم أن قدرة عبد الجبار على الاستماع لم تكن نابعة من طيبة قلبه ولا من اهتمامه بالنمنم وثرثرته ولكنها كانت عجزا عن إقامة حوار وإعاقة نفسية تمنعه من التفاعل مع الآخرين لذا لم يكن لديه حل سوى أن يترك النمنم يثرثر ويثرثر. أما بيتر فقد شعر بالذنب لأنه كان متشككا فى عبد الجبار متوجسا منه خيفة وظن بيتر أن عبد الجبار قد أحس بريبته فآثر الابتعاد. وغرق وائل فى نوبة قلق عميق على مصير عبد الجبار لو ظل وحده فى الشارع أو لو التقى بعلاء ورآه خارج السجن. لكن أحدا منهم لم يعرف إلى أين ذهب حتى النمنم ذهب ليبحث عنه وعاد بعد ساعات سفر اليدين لم يكن أحد منهم يعلم أن عبد الجبار لديه مكان آخر يذهب إليه . مكان قد يحقق فيه ما يصبو اليه منذ زمن لقد ذهب إلى سامى ذلك المعتقل الذى كان طالبا فى كلية الطب وقد تخرج وصار طبيبا مرموقا ومن مراكز النفوذ فى جماعة الإخوان التى سيطرت على نصف مصر بعد الانقلاب الذى تم فى أغسطس، وكان سامى هو من اقترح اطلاق سراح عبد الجبار بل وقابله بعد خروجه واعطاه أرقام تليفوناته وعنوان مكتبه وهو نفسه الذى أعطاه هاتف وائل ليتصل به وينزرع فى بيته بصفه مؤقته حتى يؤدى الدور المرسوم له بدقه وقد فعل وعندما وصل إلى مكتب سامى بعد أن ترك منزل وائل كانت أمامه مهمة أخرى كلفه بها سامى وأقسم عليها عبد الجبار أمام مجلس العلماء فى مشهد مهيب كان بدنه ليقشعر من هيبته لولا أنه لا يؤمن أصلا بوجود إله ولا بفائدة الدين ، إنما كان قسمه صادقا لأنه يوافق هوى نفسه التى تجنح للانتقام . لقد كان عبد الجبار هو الوحيد الذى يعرف أسماء وعناوين وتحركات وخطط الضباط الذين كونوا نواة الانقلاب وكان علاء منهم ، أخيرا اقترب الثأر الكبير.. ولم يضيع عبد الجبار وقتا بل ذهب لتوه الى مكتب غريمه علاء بك وبمجرد أن سمع علاء اسمه شعر بذهول وغضب ولكنه سمح له بالدخول ليدخل عبد الجبار مندفعا وينحنى أمام علاء ويحاول تقبيل يده متصنعا البكاء متلعثما يستعطفه :

- سـ.. سامحنى يا علاء بـ.. بيه أنى ابن كـ..كلب وجزمة

ويمسكه علاء من تلابيبه ويضربه على قفاه :

- انت طلعت ازاى يا حيلتها؟ وعرفت طريق مكتبى منين يا روح امك ؟
- و..و هو مكتبك حد يتوه عنه يا باشا؟

ثم انحنى عبد الجبار وقبل حذاء علاء الذى أمسك به ودفعه إلى الحائط بعنف سائلا إياه:

- امشى يا يالا وحسك عينك اشوف خلقة القرد دى تانى

وبعد رجاء ومذلة نجح عبد الجبار فى اقناع علاء بأنه سيصبح كلبه المخلص مرة أخرى وأنه تاه بعده ولم يجد له مأوى وأنه على استعداد لفعل أى شىء فى خدمته حتى لو كان سينظف له المنزل ورن جرس الهاتف ليرد علاء ومن المكالمة والدبلة الفضية فى يده اليسرى عرف عبد الجبار أن علاء قد تزوج وبمجرد أن أنهى علاء المكالمة هتف عبد الجبار:

- ألف مبروك يا باشا وو عج عجبال البكارى.. أنى مستعد اعمل أى حاجة لاجل ترضى انشاالله انضف البيت مع الجماعه ..

ولطمه علاء على وجهه بقوة وصرخ فيه:

www.alkottob.com

- انت مالك ومال الجماعة يا فسل .. فصرخ عبد الجبار:
- اسف اسف

فهدأ علاء قليلا ثم قال له:

- أنا هاوديك شقة فيصل أنا احتفظت بيها لمزاجى أهو تخدم ع القعدة وتشوف طلباتى ولـــو رضـــيت عنك هابقى اسيبلك المزز بعد ما اخلص..

فرح عبد الجبار وسأل فى بلاهة:

- مزز ؟ ومزة زمان ؟ نظر له علاء شزرا فسكت وظل صامتا وهم فى السيارة متجهين إلـــى شـــقة فيصل ثم أشار الى يد علاء اليمنى وسأل:
- الـــ .. الخاتم الدهب؟

ضحك علاء وقال:

- لاااا رميته من زمان حتى الدبلة فضة زى ما انت شايف اصل بيقولوا الدهب حـــرام للرجالـــه .. هابقى اديهولك لما نوصل أهو ينفعك
- مش سعادتك جلت انه حرام؟
- للرجالة يا قفا .. انما للى زيك حلال هههههههههههههههههههه

يغرق علاء فى الضحك بينما يستبد الغضب بعبد الجبارلكنه يصمت ففى داخله اليقـــين بأنـــه هـــو مـــن سيضحك فى آخر المطاف.

www.alkottob.com

توطدت العلاقة بين وائل وبيتر والنمنم وبرغم اختلافهم فى كثير من الأشياء الا أنهم قد اتفقوا فى حب مصر والتشبث بالأمل فى خلاص يأتيها مما هى فيه، وبدأ بيتر يتحول من نصف مصرى إلى مصرى خالص يفيض حبا للبلد. فى تلك الشهور القليلة تابع بيتر كلاسيكيات السينما المصرية وبدأ يستمع إلى الأغانى الشرقية فكان يجلس مع وائل يستمتعان بأم كلثوم وفيروز وعبد الحليم ومنير ثم يحتج النمنم بأنهم لا يعطونه الفرصة لكى (يروقهم) حسب تعبيره وكان الترويق من وجهة نظره هو أن يسمعهم سعد الصغير الذى أصبح مطرب الجيش وشعبولا الذى أصبح الشيخ شعبولا وصار القاسم المشترك فى كل احتفالية يقيمها الإخوان بمناسبة استيلائهم على حى جديد أو انتصارهم فى معركة ضد الجيش وكانت الأغنية المفضلة لدى النمنم هى :

– اسمع كلام الشيخ طول عمرك مش هاتشيخ .. وكلام ولى الأمر نمشيله ولو ع الجمر اييييييييييييييه

وعندما كان وائل وبيتر ينزعجان من صراخ النمنم وصوت شعبولا كان النمنم – فى محاولة منه لإرضائهما– يطفىء التسجيل ثم يشغل أغنية لشفيقة قائلا:

- أهو جبتلكو حاجة طرب اهو لحسن تقولوا انى مش بافهم فى الذوق

وفى احدى جلسات الفضفضة بين بيتر و النمنم تعجب الأخير من أن بيتر لم يجلس يوما على قهوة بلدى :

- ازاى يا خواجه..لا مؤاخذه قصدى يا أستاذ بيتر ازاى مقعدتش عمرك على قهوة بلدى ؟ لا لا سيب الموضوع ده عليا .. ثم يميل على بيتر هامسا:
- شوف احنا نتسحب كده بشويش من ورا الاستاذ وائل ونروح انا وانت نسهر سهرة صباحى على قهوة انما كده فى سيدنا الحسين

ويبتسم بيتر مندهشا من قدرة النمنم على الدعابة والمرح رغم كل ما حدث له وما حدث للبلد.. وبالفعل ذهبا إلى المقهى الشعبى بدون علم وائل الذى كان يخشى عليهما وبالذات على بيتر من الخروج الى الشارع المحتقن طائفيا وجلسا إلى احدى الطاولات وطلب النمنم شيشة تفاح لبيتر أما هو فقد طلب جوزة وبدأ الحديث بينهما والضحك على نكات النمنم ثم مرت فتاة شبه جميلة وكان حدثا نادرا أن تسير فتاة بمفردها فى شوارع القاهرة فى تلك الأيام العصيبة فالتفت نحوها كل من كانوا على المقهى وبدأ سيل من التعليقات ينهال عليها وعلى ملابسها وجسدها وحجابها حتى صدر التعليق القنبلة من النمنم الذى هتف فى سعادة وحماس :

- يا حلو انت يا معصعص! ولم يتمالك مرتادى المقهى أنفسهم من الضحك حتى الفتاة نفسها أغرقت فى الضحك وهرولت فى حياء وقد احمر وجهها وهرول خلفها النمنم غير مبال بنداء بيتر عليه فقد أشعل خجلها النار فى قلبه ، ووجد بيتر نفسه وحيدا على مقهى شعبى وراح يتفرس الوجوه وقلبه يرتجف خوفا وهلعا وشد بيتر كم قميصه ليتأكد من إخفاء الصليب الذى وشمه أبوه على يده فى طفولته ثم مالبثت خواطره أن هدأت عندما راح يتابع دور طاولة يلعبه اثنان من رواد المقهى فى انسجام وعندما اختلفا احتكما إليه فاعتذر لهما بأنه لم يلعب الطاولة فى حياته وبدأ يتجاذب الحديث معهم فى حذر ما لبث أن انقلب إلى أريحية لم يتصورها ولم يتصور أن مصر فيها بشر بهذه الطيبة والتلقائية حتى انه انتقل للجلوس إلى طاولتهم واستمر الحوار حتى سأله احدهم وهو يرتشف الشاى بالنعناع:

- هو اسم الكريم ايه؟

www.alkottob.com

ارتبك بيتر ثم اجابه أن اسمه أحمد فابتسم الرجل قائلا:

- عاشت الأسامى يا سى أحمد تعرف انا عندى ولد من دورك كده بيشتغل فى ايطاليا..
- وايه اللى وداه هناك؟ ليه مشتغلش هنا ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ومرارة:

- بالذمة ده سؤال؟

وبعد نصف ساعة تقريبا عاد النمنم محلقا من السعادة وعلى وجهه ابتسامة رضا و اعتداد بالنفس حتى أن مشهده قد أضحك بيتر.. واستأذن بيتر الرجل فى الانصراف:

- بعد اذنك يا حاج.....؟
- بطرس اسمى بطرس يا ابنى وده عمك مصطفى

ذهل بيتر وتسمر فى مكانه من المفاجأة وهو لا يصدق الموقف وانتزعه النمنم انتزاعا من المقهى وقد استبد به الذهول فلم يجد على لسانه سوى كلمة واحدة :

- ازاى؟ ازاى؟

كانت تلك الليلة فارقة فى حياة بيتر وفى تفكيره فقد بدأ يفيق على حقائق كانت غائبة عنه وبدأ يؤمن أن شعب مصر مازال به أخيار لم تلوث الأحداث قلوبهم ، وللمفارقة العجيبة التى لفت وائل نظره اليها أن هؤلاء الأخيار كان يطلق عليهم فيما مضى الأغلبية الصامته هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا لعبة السياسة فظلوا بمنأى عن ظلم الحكومة وفساد المعارضة كانوا يشاهدون عن بعد ويضحكون على ما يشاهدونه.. وفى ألم وحسرة قال وائل:

- يبدو أن الأمل فى الأغلبية الصامتة مش فى الأبطال الورقيين وأشاوس المعارضة المزعومة .. احنا راهنا على قدرتنا على الصمود واتحاد فئات المعارضة ولكننا للأسف خسرنا الرهان وخسرنا أنفسنا وخسرنا البلد.

www.alkottob.com

..اتجه علاء إلى مكتب ناجى المنسق العام لحركة ضباط من أجل التغيير والقائم بأعمال نائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وذلك بناءا على استدعاء ناجى له، ورغم الاحترام والاجلال الذى يظهره علاء تجاه ناجى إلا ان الحقد كان يتأجج بداخله على ناجى الذى كان يحوز احترام الجميع داخل حركة الضباط وشعبية جارفة وسط جموع المواطنين. كان ناجى شخصية مثالية قلما وجد مثلها كثير من الأحيان كان يخيل إلى علاء أن ناجى لا يخطىء فهو صادق وشجاع وشهم وبلغت به المثالية المفرطة أن رفض الزواج لكى لا يظلم بنات الناس معه ، كان ناجى لا يريد انجاب أطفال فى وطن مستقبله مجهول، وكان يكتم مشاعره تجاه أى فتاة لكى لا يعطى لنفسه فرصة للتخلى عن هدفه الأسمى ألا وهو النضال من أجل وطن أفضل ومستقبل به شىء من التفاؤل والأمل.

وصل علاء الى مكتب ناجى فدخل بدون اسئذان ليجده متجهما ومد علاء يده للسلام فلم يصافحه ناجى بل قال له دون أن ينظر اليه:

- اقعد يا علاء

وجلس علاء وقد بدأ يضطرب وهو يراقب ناجى يقلب فى بعض الأوراق أمامه وبعد دقيقتين رفع ناجى وجهه وسلط عينيه الثاقبيتين على علاء وقال فى غضب حاول أن يكتمه:

- هناك الكثير من الشكاوى المقدمة ضدك من المواطنين

ضحك علاء فى محاولة لتخفيف حدة الموقف وقال:

- ايه يا ناجى انت قلبتها جد وبتتكلم بالنحوى ليه؟

ضغط ناجى على أسنانه من الغيظ وقال فى حزم:

- أنا استدعيتك النهاردة بشكل ودى عشان اسألك عن الفضايح اللى سمعتها عنك .. ونظر فى الورق الذى أمامه وهو يعد على أصابعه قائلا:
- رشوة .. هتك عرض.. تزوير فى أوراق رسمية .. استغلال نفوذ.. تقديم أبرياء لمحاكمات عسكرية وتلفيق تهم و.. قاطعه علاء فى حده :
- مين ابن الكلب اللى قال كده

اشتعلت عينا ناجى بالغضب فاضطر علاء للصمت ثانيتين ثم قال فى لهجة حاول أن يطليها بشىء من المشاعر والود:

- احنا اصحاب من مده يا ناجى .. تصدق فيا كده؟ فاكر لما كنا بنجتمع دايما فى شقتى وانا ظابط امن دولة يعنى رقبتى كانت ممكن تطير فيها

نكس ناجى رأسه وقال:

- أنا آسف. كنت أتمنى الاتهامات تكون باطلة لكن فيه أدلة كتير ضدك وشهود

تلمع عينا علاء ويقول وهو ينحنى على ناجى:

- يعنى ايه مش فاهم ؟
- أنا مضطر أحولك للمحاكمة العسكرية إلا فى حالة واحدة.. تتنحى عن كل مناصبك وتتخلى عن صلاحياتك كلها وسيتم تسريحك من الجيش

كاد علاء أن يجن لكنه حاول التحكم فى نفسه فقد كان يعلم أن ناجى قوى الشكيمة وأنه ان قال كلمة فهو يقصدها تماما .. حتى لو دخل مع ناجى فى عراك بالذراع سيغلبه ناجى وفى داخله أدرك علاء أن هذه المعركة لا تحسمها القوة ولكن يحسمها الدهاء . نكس علاء رأسه وهو يقول :

www.alkottob.com

- اللى تشوفه يا ناجى .. بس سيبنى اروح النهاردة مكتبى عشان محدش يحس بحاجة وبكرة الصبح استقالتى هاتكون على مكتبك

نظر له ناجى نظرة استياء وشفقة ولم يتحدث فأدى له علاء التحية العسكرية وخرج دون كلمة واحدة.

www.alkottob.com

ذهب علاء الى منزله وقد اشتعلت نيران الغل فى قلبه ، وكاد عقله ينفجر من كثرة الافكار السوداء التى أحاطت به فكل ما حلم به صار على شفا الانهيار وكل ما وصل اليه من نفوذ وثروة ومتعه مهدد بالضياع والى الابد ولم يكن علاء ليسمح بذلك لابد من مخرج هذا ما عرفه دائما أن لكل أزمة مخرج وبعد تفكير مضنى وصل للحل الذى سيريحه من كل شىء ويطفىء نار قلبه .. ونادى على انتصار التى جاءته تلهث من اللهفة وهى تمنى نفسها بوصلة تعذيب جديدة تطفىء شعورها بالذنب ولو قليلا وكانت تتساءل فى طريقها من غرفة الجلوس إلى غرفة النوم عن الوسيلة التى سيعذبها بها هذه المرة ترى هل يسبها أم يضربها بالكرباج أم سيسعدها الحظ ويدوس عليها بحذائه وما إن وصلت اليه حتى هتف بها:

- ايه يا مرة ساعة عشان تيجى ؟ اتلقحى اقعدى يا زفته

تجلس تحت قدميه فيجذبها من شعرها ويجلسها إلى جواره ويعتصر ذراعها فى قسوة:

- سيبك م الوساخة اللى فى دماغك دى مش وقتها واسمعينى كويس

ارتعدت خوفا وقالت :

- حاضر .. أمرك .. سامعاك
- أنا تعبان

تشعر بالشماته داخلها ولكنها تقول له:

- ألف سلامة
- انتى غبية ؟ أنا مش تعبان بس انتى هتقولى انى تعبان ولا أقولك هتقولى انى حاولت انتحر

اتسعت حدقتا انتصار فى ذهول وسألته:

- أقول لمين؟

وطعنها فى قلبها عندما قال لها أن المقصود هو ناجى ، ذلك البطل الوحيد الذى لم تفقد انتصار احترامها له هو ووائل كانا فى نظرها أيقونتان للوطنية والاخلاص وكانت ترتعد من الغثيان والخوف وهو يشرح لها خطته الدنيئة وما إن فرغ من كلامه حتى ثارت فى وجهه :

- اللى انت بتقوله ده مستحيل.. أنا مش ممكن أعمل كده.

وجاءها الرد ضربا عنيفا مبرحا أسال من جسدها الدماء وهددها بقتل أمها واغتيال شقيقها فى فرنسا وذكرها بأنه الآن يده طائلة أكثر من ذى قبل واضطرت لموافقته فلم يكن بيدها حيلة فى تمام الساعة الثانية صباحا أمسكت بالهاتف وحاولت الاتصال بناجى وهى فى حالة انهيار تام ولكنها لم تستطع اتمام الرقم ودخلت فى نوبة انهيار عصبى حاد فبصق علاء فى وجهها وتوجه مسرعا إلى شقته فى فيصل وفور وصوله أيقظ عبد الجبار من نومه وشرح له الخطة وأمره بالتنفيذ وبالفعل اتصل عبد الجبار بناجى وهو يصرخ:

- الحجنى يا ناجى باشا ..علاء بيه انتحر أيوه .. أنى عبد الجبار فاكرنى؟ تعالى فيصل

وفى أقل من ثلث الساعة كان ناجى فى شقة علاء تلك الشقة التى شهدت اجتماعات ضباط من أجل التغيير وشهدت على صداقة وثيقة بين علاء وناجى كان ناجى يكن معزة حقيقية لعلاء وكان دائما يفخر به أمام ضباط الجيش الذين كانوا يعاملونه بتحفظ على أساس انه ينتمى للشرطة ولأمن الدولة لكن ناجى كان يرى فيه بطوله وشهامة لأنه اعتقد فى علاء الاخلاص والتضحية برغم منصبه فى مكان حساس وما إن وصل ناجى الى شقة علاء وفتح له عبد الجبار باب الشقة حتى صرخ فى لهفة وقلق :

- علاء فين ؟ عمل إيه فى نفسه المجنون ؟

www.alkottob.com

وأشار له عبد الجبار على غرفة النوم الرئيسية المقابلة لباب الشقة ودخل ناجى مسرعا إلى الغرفة ليفاجأ بعلاء جالسا يرتدى ملابسه كاملة وفى يده مسدس وقبل أن ينطق ناجى بكلمة واحده انطلقت رصاصة من مسدس علاء تعمد أن تخطىء الطريق الى قلب ناجى لتصيب صدره وينزف بغزارة ولكنه يأبى السقوط على الأرض وهو يتمتم فى ذهول :

- مش ممكن .. ثم ينظر إلى علاء ويسأله:
- ليه؟

يجيبه علاء فى برود :

- ياروح ما بعدك روح .. انت كنت عايز تزيحنى من طريقك مكانش قدامى غير كده
- انت فاكر الشعب ممكن يسكت على قتلى؟

ابتسم علاء فى سخرية وضغط بقوة على جرح ناجى وهو يقول:

- يا ناجى يا حبيبى الشعب المصرى بقى أوسخ من حكامه

هم ناجى بقول شىء ما لكن رصاصه انطلقت من مسدس عبد الجبار وأصابت رأسه أخرسته للأبد. وتوجه علاء إلى مكتب ناجى وأحرق كل الأوراق التى تدينه ووضع جثة ناجى على مقعده فى المكتب وذهب إلى الزمالك ليجد انتصار وقد أكل البكاء عينيها وبمجرد أن دخل الشقة هجمت عليه وأمسكت بملابسه وصرخت:

- قتلته؟ قتلت أنظف واحد فى البلد؟

دفعها بيده فاصطدمت بالحائط وهى تصرخ فى لوعه فقد كان قلبها يتمزق على ناجى، صحيح أن السنوات الماضية قد حولتها إلى مسخ مريض نفسيا إلا أن جزءا منها أبى التحول إلى الشر.. هل ذهب ناجى؟ ضاع للأبد؟ ابتسامته الحزينة وعيناه الثاقبتان وجسده فارع الطول . كل هذا الكبرياء سقط فى شراك الموت؟ تكومت انتصار على الأرض فى وضع الجنين وهى ترتجف وتذكرت آخر زيارات ناجى لهما حين قال لها عندما هم بالانصراف:

- اسمعى انتى أختى الصغيرة أى شىء تحتاجيه كلمينى ولو علاء زعلك أنا اللى هأقف له

كم كان حنونا وشامخا ، كانت تعتبره أبا لا أخا كبيرا .. فى داخلها تمنت انتصار لو أنها هى التى ماتت .

أما علاء فقد كانت ليلة قتل ناجى من أسعد لياليه لأنه كان يعتبر ناجى العقبة الوحيدة أمام طموحاته رغم أنه هو من أعطاه كافة صلاحياته وعينه نائبا له إلا أن فرصة علاء فى اكتساب شعبية كانت ضعيفة فى وجود ناجى الذى كان كالشمس حين تسطع فى أول الصباح نورها يشع دفئا وبهجة أما علاء فقد كان باردا وكأنه قد من صخر لامع أو من لوح جليدى.

وفى الصباح استيقظ علاء على مكالمة هاتفية من مقر القيادة تخبره بأنهم وجدوا ناجى مقتولا فى مكتبه وذهب علاء وقد حاول ان يرسم بعض التأثر على ملامحه الجامدة وأمر على الفور بتشكيل لجنة تحقيق انتهت فى نفس اليوم إلى إدانة عدد من ضباط الجيش الذين اعترضوا قبل ذلك على تعيين علاء وهو من الشرطة كنائب لناجى فى حركة قوامها ضباط الجيش بالأساس. وفى خلال أسابيع قليلة استتب الأمر لعلاء بعد أن أصبح الرجل الثانى فى الدولة رسميا والأول فعليا وبدأت انتصار تشعر بغثيان شديد بعد مقتل ناجى ، غثيان لم يعد اى شىء يسكنه، رغبه حارقة وجامحة فى التطهر جعلتها تصارح علاء بأنها فى حاجة ماسة لزيارة طبيب نفسى وكل مرة كان يقابل رغبتها هذه بالسخرية وبأن عقدها تستعصى على أطباء العالم ، وكأنه نسى أن أغلب هذه العقد كان هو السبب المباشر لها..

www.alkottob.com

ذات مساء واجهته بقوة وبأنها ستذهب إلى الطبيب النفسى حتى لو اضطررت إلى فعل ذلك رغما عنه وبأنها لو كانت سوية نفسيا لما قبلت الزواج من جماد مثله وبأنه .. ولم تكمل فقد انهال عليها الضرب من حيث لا تدرى حتى سقطت مغشيا عليها وعندما أفاقت كان جالسا على الأريكة يرتدى حذاءه تأهبا للخروج وقبل أن يتناول مفاتيح السيارة همس لها:

– اعمليها وهتشوفى الجحيم بعينك .. هخليكى تتمنى الموت عشان ترتاحى من العذاب اللى هتشوفيه انتى وأهلك.. ثم تركها ومضى إلى شقة فيصل ، كانت تعلم أين يذهب كل ليلة وماذا يفعل ولم تعترض يوما ولا حاول هو اخفاء ما يفعله بل كان يحدث عشيقاته أمامها ويتغزل فى مفاتنهن ويقارن بينهن وبينها حتى فى أكثر لحظاتهما خصوصية، ولوهله فكرت أن تذهب اليه وتفضحه وفى داخلها لم تجد إلا صورة واحدة تملأ كيانها صورة طاهرة لرجل بحق كان أجمل شىء حدث لها ولكنه أتاها فى الوقت الخطأ .. لقد كانت هى من تركته وهربت منه ولكنه لم يكن هروب خداع أو استغناء بل كان أقرب إلى هروب الليل من النهار، هروب الجبان من الشجاع، هروب الباطل من الحق. شعرت انتصار أنها فى أمس الحاجة لوائل ، كانت تحتاج حمايته من بطش علاء ومن ذلك الجلاد الذى يحتل ضميرها ويتلذذ بعذابها وإغراقها فى النجاسة والوحل، عيناه الواسعتين البريئتين بدا وكأنهما ميناء سلام لها ودون وعى منها امتدت يدها إلى هاتفها المحمول وطلبت رقمه، لم تجد صعوبة فى تذكر الرقم فهى أبدا لم تنساه . ترى هل مازال يحتفظ بنفس الرقم ؟ وسمعت جرس الهاتف ولم تحتمل أعصابها أكثر من ذلك فأغلقت المكالمة وانهارت فوق الأريكة تبكى . كان وائل فى نفس الوقت يكتب مقالة عن ضحايا ما سمى بفترة الاصلاح السياسى فى مصر وكانت انتصار – من وجهة نظره– نموذجا مثاليا للضحية كما كان أوديب نموذجا مثاليا للبطل التراجيدى بمعايير المسرح الإغريقى أما ناجى فقد مثل لوائل بطلا إغريقيا صميما سعى وراء معرفة الحق وكلما عرف أكثر تألم أكثر وبيده رسم نهايته عندما أحاط نفسه برجال لا هم أكفاء ولا شرفاء وأدرك وائل كما أدرك كثيرون من الشعب أن ناجى قد قتل على يد رجاله ولكن أحدا لم يحرك ساكنا ، وفجأة سمع وائل رنين هاتفه ونظر إلى الشاشة فى فضول ليعرف صاحب المكالمة المبتسرة فوجد اسمها ، رغم مرور أكثر من عامين على آخر لقاء بينهما لم يستطع أن ينساها بل ولم يحاول وظل اسمها مسجلا فى ذاكرة هاتفه وفى ذاكرة قلبه ، قلبه الذى انتفض فى عنف مكذبا عيناه عندما رأى اسمها يضىء شاشة هاتفه. وضع وائل هاتفه فى اضطراب أدى إلى إسقاط فنجان القهوة فوق الأوراق وحاول التماسك وبدأت التساؤلات تجتاح كيانه ترى هل أخطأت فطلبت رقمه عن طريق الخطأ؟ أم أن زوجها هو الذى رأى اسمه فهاتفه للتاكد من هوية صاحب الرقم؟ حتى وإن كان الأمر كذلك قرر وائل أن يتصل وليحدث ما يحدث، وبالفعل اتصل وائل وقطعت انتصار بكاءها لترد من بين دموعها:

- ألو .. تنهد وائل تنهيدة كادت تحرق قلبه وهو يهمس:
- وحشتينى
- ممكن أشوفك؟
- أكيد .. ولم تنتظر انتصار أنهت المكالمة وارتدت مللابسها على عجل وذهبت الى منزله ولم يكد يفتح الباب حتى ارتمت بين ذراعيه وغابت فى بكاء مرير وهى تردد :
- سامحنى .. أرجوك سامحنى يا وائل أنا حاولت أعيش من غيرك مقدرتش.. حاول وائل تهدئتها بلا جدوى فأدخلها وقال لها :
- احنا مش لوحدنا يا انتصار تماسكى شوية أرجوكى

www.alkottob.com

وأفاقت انتصار من انهيارها فوجدت بيتر يقف بالبيجامة مذهولا من تلك الزائرة الجميلة المنهارة ومن الجانب الأيمن خرج النمنم وهو يرتدى ملاءة مطبخ وفى يده مغرفة وعندما رآها تقدم نحوها فى فضول شديد وسألها ووجهه يكاد يلتصق بوجهها :

- هى المزة زعلانة ليه؟

تراجعت انتصار وقالت وهى تتشبث بوائل :

- ملكش دعوة .. أنا جايه لوائل

هرش النمنم شعره الذى أغرقه الفازلين ثم قال بابتسامة بلهاء:

- أنا وائل .. وزجره وائل ثم أخذخ بيتر بصعوبه ليعيده الى المطبخ وهو يهتف:

- طب اعتبرينى وائل .. يا سلام مزة مزة يعنى

دخل وائل وانتصار إلى غرفة المعيشة وجلسا على الأريكة فى صمت طويل وكل منهما يتأمل الآخر ويرى ما تغير فيه وبادرها وائل:

- انتى خلعتى الحجاب؟

- لبسته غصب وخلعته غصب .. نظر لها متسائلا فقالت:

- هو قال لى اخلعيه مش عايز مراتى تبقى شبه الغفر

تعجب وائل فى داخله تساءل لماذا تركته انتصار وتزوجت علاء وهى تكرهه لدرجة انها لا تريد ذكر اسمه فتشير إليه ب " هو "؟ ولماذا عادت الآن وهى فى هذه الحالة ؟ وكانها سمعته فقالت أنها ستخبره بكل شىء منذ طفولتها وصارحته بكل شىء لم تصارحه بشىء أبدا عندما كانا سويا ، كانت دائما غامضة وحزينة وشارده واليوم فقط عرف كل شىء وفهم كل شىء، لماذا احتملت كل هذا الحزن وحدها؟ آه لو كانت صارحته لما كان تركها أبدا .. كان سيدافع عنها ويحميها ولو كلفه الأمر حياته لكنها فضلت الفرار وها هى تعود اليه محطمة وفى حزم قال لها:

- انتى لازم تروحى لطبيب نفسى

- علاء لو عرف هيدبحنى .. وتنظر إلى خارج الغرفة فى حذر وارتياب فيطمأنها وائل أن النمنم وبيتر صديقان وفيان له وانهما لن يبوحا بسرها وطالت جلستهما ساعتين وثلاثة لم يقطع حديثهما سوى النمنم الذى كان يدخل عليهما من وقت لآخر بحجة تقديم مشروب أو أخذ مطفئة سجائر وانتهى اللقاء على وعد بأن يتكرر وخرجت انتصار من بيت وائل وهى تشعر بأمان غير عادى كان لديها فى تلك اللحظة قدرة على تحدى أكثر القوى بطشا فى العالم. خرجت وقد استردت شعورها بالكرامة والأنوثة والسعادة وبمجرد أن وصلت إلى منزلها نقلت أشياءها خارج غرفة علاء فقد آن الأوان لأن توقف بيدها حفلات التعذيب التى كان يقيمها على شرف كرامتها وآدميتها ليلة بعد ليلة . كان الامل يغمرها بعد وعد وائل لها بأنه سيأتى بصديق له يعمل طبيبا نفسيا ليعالجها فى منزله دون أن تضطر إلى الذهاب إلى عيادة الطبيب وقد كان وبدأت جلسات العلاج فى منزل وائل وبين النمنم وبيتر عرفت الضحكة طريقا الى انتصار بعد غياب سنوات لم يرتفع صوت ضحكها ولو لمرة وشعرت انتصار أنها بين أخويها ومعها حبيبها والطبيب المعالج كانت تتمنى لو تقضى باقى حياتها هكذا . كانت الساعات القليلة التى تقضيها فى بيت وائل تهون عليها كل شىء وبدأت شجاعتها تزيد يوما بعد يوم حتى أنها بدأت تغلق باب غرفتها ليلا بالمفتاح غير عابئة بغضب علاء ولا باندهاشه

www.alkottob.com

للتغير الطارىء الذى بدا عليها ونفورها الشديد منه بل وعصيانها عليه حتى نظرات الشك والوعيد الصامت لها أثناء تناوله الطعام لم تثر داخلها الخوف ولا حتى ارتابت لوهله أنه يكترث لأمرها .

ومرت أسابيع وهى على تلك الحالة حتى شعرت بالتعافى التام ولاحظ وائل ذلك فبادرها بأنها لابد أن تطلب الطلاق من علاء وأنها لا يصح أن تفنى عمرها تحت قدمى شخص بساديته ولا بسمعته السيئة ونظرت اليه انتصار والدموع تملأ عينيها ثم أمسكت يديه وأخبرته أنها ستفعل ذلك من أجله ومن أجل أن يظلا سويا وشردت ببصرها وهى تتخيل حياتهما معا وطفل صغير يشبه وائل واستمر حديثها الشارد دون أن تلاحظ يد وائل التى انسحبت من يدها وعيناه اللتان ابتعدتا فى اتجاه آخر. نعم لقد أحبها بكل جوارحه ولم يستطع نسيانها فى سنوات الغياب إلا أنه بعد عودتها شعر بانكسار فى قلبه ربما لو لم تكن صارحته بالحقيقة كاملة بكل فجاجتها ، لقد تغيرت انتصار لم تعد تلك المرأة التى أحبها وأحب صمتها وغموضها وتماسكها ، لو كانت احتفظت ببعض هذا الغموض؟ لكنها عندما عادت وصارحته كل ما خفى عنه مات جزء من حبها داخله وحل محله نوع من أنواع الشفقة والمسئوليه تجاهها لأنها كانت حبيبته فى يوم من الأيام ولا يمكن أن يتركها فى مهب الريح بمفردها. كانت تلك اللحظة من أصعب الاوقات التى مرت على وائل وهم بمصارحة انتصار بكل ما فى داخله فهو أبدا لا يرضى اعطاءها أملا كاذبا فى حياة مشتركة بينهما لولا أن سمع النمنم يهتف ويسب فى حماس ثم ما لبث ان دق على الباب بعنف مطالبا وائل بالخروج فورا، وخرج وائل لتسمعه انتصار يهتف فى سعادة ويرحب بشخص ما ويسأله عن سبب غيابه المفاجىء وسمعت بيتر يقول للزائر المفاجىء:

– تعالى بقى لما اعرفك بالسكرة اللى نورت البيت مؤخرا وانفتح باب غرفة الجلوس لتراه انتصار وجها لوجه أمامها.. وجدت نفسها أمام عبد الجبار .

www.alkottob.com

لأول مرة فى حياته يشعر علاء أن بداخله بركان ، كان دوما باردا لا شيء يفلح فى هز ثقته بنفسه أو إتلاف أعصابه لكنه لم يتعرض لمثل هذا الضغط من قبل وقد كان أكثر شيء يستفزه بل كان الشيء الوحيد الذى يستفزه هو أن يشعر أن زمام الأمور قد أفلت من يده والزمام لم يفلت فى حياته قدر هذه الأيام فانتصار أصبحت فجأة بنى آدمة تعصاه وتهرب منه بل وتواجهه بحده وتقاوم ضربه لها بعد أن كانت تستمتع بالاهانة وتستلذ بالتعذيب.. ومجموعة ضباط الجيش انقلبوا عليه وبدأ عصيان أوامره على اعتبار أنه ضابط شرطة وأن الحركة قوامها رجال الجيش وهم الأحق بالقيادة ولم تفلح الرشاوى ولا خطط التفريق بينهم فى ردع مواجهتهم له واطاحتهم برجاله المقربين الرجل تلو الآخر مرة بقضية فساد ومرة بحادث اغتيال حتى صارت الأرض تميد من تحت قدميه وشعر وكأن ذكاءه قد تخلى عنه للمرة الأولى فى حياته أو ربما لم يتخلى عنه ذكاؤه ، ربما تستدعى تلك المرحلة ما هو اكثر من الذكاء. حار علاء أشد الحيرة وراح يراجع قصة حياته منذ طفولته لأب ضابط شرطة وأم تعمل معلمة بالمرحلة الابتدائية وكيف كان ولدا وحيدا بعد وفاة شقيقه التوأم ، كانت أوامره كلها مجابة لوم يشعر بالحرمان مرة رغم أن والده لم يكن ثريا والمفترض أنه لم يكن يملك سوى مرتبه ، كانت فترة طفولته جميلة وكان يعامل من الكل على أنه ملك متوج. مازال علاء يذكر ذلك اليوم الذى خالفه فيه احد العساكر عند والده حيث كان علاء يريد أن يركب العسكرى كحمار ويمشى به فى النادى أمام أصدقائه ولكن العسكرى رفض وقال له :

- أنا مش حمار أنا بنى آدم زيك

يومها ذهب علاء إلى والده متظاهرا بالبكاء فما كان من والده إلا أن أجبر العسكرى على الانحناء وقال لعلاء :

- اركبه واديله بالجزمة

وبالفعل ركب علاء وراح يسوس العسكرى بالحذاء بدلا من الكرباج ومن يومها لم ينزل علاء كان دائما فى وضع الركوب يدوس بحذائه على أى شيء وعلى أى شخص فى سبيل فعل ما يسعده ويريح باله ، حتى أنه كثيرا كان يخيل إليه أن القدر يسير وفق هواه إلا هذه الأيام وكأن القدر قد شاء على حين غرة أن يتحدى إرادته ويقف فى سبيل طموحه حتى شعر أنه على شفا الجنون ولم يكن علاء ليرضى أبدا بالهزيمة ولو اضطره الأمر للتحالف مع الشيطان فى سبيل الحفاظ على كل ما وصل إليه وتحقيق ما يحلم به من الوصول إلى رأس الدولة ولكن هدفه هذه المرة ليس معتقلا ضعيفا ولا فتاة غريرة ان عدوه هذه المرة هو الجيش ، كيف سينجح بمفرده فى تطويع جيش بهذا الحجم وهو وحده؟

كيف؟

انهارت انتصار تماما بمجرد أن رأت عبد الجبار أمامها ، شعرت كأن أذنيها فقدتا القدرة السمع وان عينها لم تعد ترى إلا ضباب حتى احساسها فقدته لمدة لم تدرك دقائق كانت أم ساعات؟ صارت يدها وكأنما قدت من جليد وراح العرق يتصبب من جبهتها وبدأت ترتجف وراحت دقات قلبها تتسارع حتى شعرت أن أحدا قد ألقاها من السماء السابعة وتركها تخترق الغلاف الجوى بجسدها الأعزل وأسرع نحوها وائل وهو يحاول معرفة ما أصابها بينما وقف كل من النمنم وبيتر فى حالة ذهول وقلق ، أما عبد الجبار فقد هاجت شهوته وهو يتذكر لقاءاتهما الساخنة فى شقة علاء وجلس على الأريكه بجوارها وبدأ يتحسسها بدعوى محاولة افاقتها فنظرت له فى رعب شديد وسقطت مغشيا عليها فحملها وائل بين ذراعيه

www.alkottob.com

وذهب بها الى غرفة النوم وتبعه عبد الجبار لكنه أوقفه بنظره حادة من عينيه فعاد إلى غرفة الجلـــوس وهمس إلى النمنم :

- هى الـــ..المزة د .. دى خصوصى للأستاذ ؟ انت والخواجه ايه نظامكو؟

عاتبه النمنم فى غضب:

- عيب عليك يا عبده .. دى خطيبة الأستاذ

ولكن عبد الجبار ابتسم فى سخرية وأصر على مكاشفة النمنم وبيتر حيث أخبرهم أن التـــى يحـــسبونها خطيبة وائل ما هى إلا مومس وانه بنفسه قد مارس معها الجنس مرات عديدة وعلى استعداد أن يخبـــر الأستاذ بعلامات فى جسدها.. وواجهه بيتر بأنه لا يصدقه فما الذى يجعل واحدة مثل انتصار تعرف عبد الجبار وأمثاله، وحكى لهم عبد الجبار حكايته معها .

استردت انتصار وعيها فشهقت برعب ولكن وائل طمأنها وعندما هدأت نفسها سألها عن سبب ارتباكهـــا فصارحته أن عبد الجبار هو نفسى العسكرى الشرس الذى كان خادما مطيعا لعلاء وشاركه جريمته فـــى حقها ، ولكن وائل طمأنها بأن عبد الجبار قد تغير تماما وروى لها قصة خلافه مع علاء وكيف غدر به ولكن انتصار أصرت على أن تترك المنزل حالا وهو ما فعلته.. وحاول عبد الجبار التحجج بأى وسيلة ليلحق بها ولكن النمنم أبطل حججه وأمسك به قائلا:

- عليا الحرام ما انت ماشى قبل ما اغلبك عشرتين طاوله

وعندما طلب عبد الجبار من وائل الاختلاء به صده وأخبره بأنه يعلم ما يريد أن يقوله وهـــو مـــا أثـــار فضول النمنم واستغرابه فهو لا يعلم عن الأستاذ أن له علاقات مشبوهة ولا انتصار يبدو أنها واحده من إياهم ولكنه قال لنفسه مبررا ما سمعه من عبد الجبار:

- صحيح يا ولاد ..القهر وحش

استبد القلق بوائل كان قلقا على انتصار ومندهشا من الظهور المفاجىء لعبد الجبار بعد رحيله المفاجىء أيضا وعلى غير عادته فشل وائل فى التحكم فى أعصابه فغادر غرفة مكتبه فى غضب وأمسك بتلابيب عبد الجبار وهدده انه سيقتله ويدفنه فى حديقة المنزل لو لم يصارحه بكل ما حدث منذ تركهم فجأة إلى أن عاد ، وأخبره عبد الجبار أنه هام على وجهه ثم ذهب إلى قريته ومكث فيها هذه الشهور إلى أن فاض به فلم يعد فى القرية أحد من أهله ولا ظل شىء على حاله هناك فقرر العودة لرؤيتهم وعندما سأله وائل إذا ما كان سيقيم معهـــم باستمرار ارتبك عبد الجبار ثم اجابه بانه سيقيم معهم ولكنه وجد عملا كعتال ولذلك سيخرج إلى عملـــه ثـــم يعود لينام معهم ورغم ان وائل لم يصدقه إلا أنه لم يكن ليغلق بابه فى وجه محتاج كما انه اراد ان يكون عبد الجبار تحت نظره فربما يعرف السر الذى يخفيه .

والحق أن عبد الجبار نفسه لم يكن يعلم ما الذى دفعه للعودة الى بيت وائل لقد كان يحوم حول البيـــت ربمـــا ليطمأن أن البيت لم يتعرض لهجوم الجيش ولا الاخوان ، ربما تأثر قلبه الحديدى بكرم وائل وطيبـــة النمـــنم وتواضع بيتر، لم يكن يدرى سببا لعودته ولا كان فى نيته الدخول إلى المنزل لولا أن رآه النمنم من النافـــذه ولربما أيضا كان السبب الذى تركهم من أجله وهو الخوف من الخطر وتنفيذ مخططه للانتقام من علاء ونيل المكافأة التى وعده سامى بها ، ربما كان ذلك السبب لم يزل بل وكان الخوف أكثر أن يرى فى بيـــت وائـــل الذى كتب يهاجم الشرطة والجيش والاخوان ، ربما كان فى وجوده فى منزل وائل خطرا مضاعفا يعرضـــه لغضب علاء وسامى ولكنه اضطر إلى اسكات وائل باخباره أنه سيعود للاقامة معهم من جديـــد حتـــى وإن

www.alkottob.com

خالف ذلك القول نيته فالاقامة معهم تعنى التعرض للاعتقال أو القتل إن آجلا أم عـــاجلا وبمجـــرد أن خلـــد الجميع للنوم هم عبد الجبار بمغادرة المنزل ولكن النمنم شعر به فتبعه إلى باب الشقة وتشبث به مقسما أنه لن يتركه يرحل مرة أخرى ولكن عبد الجبار أخرسه بلكمة قوية طرحته أرضا ومضى إلـــى الخـــارج بـــسرعة وارتباك جعله لا يلتفت إلى مفتاح شقة علاء الذى وقع منه على الباب والتقطه النمنم وعاد إلى غرفة النـــوم وهو حزين ولكن حزنه هذه المرة لم يكن بسبب فراق عبد الجبار ولكن بسبب الاكتشاف المـــؤلم بـــأن عبـــد الجبار سيظل كما هو وبأن عشرتهم الطيبة معه لم يكن لها أثر فيه ..

وعاد عبد الجبار الى شقة علاء وعلى باب الشقة اتسعت عيناه فى هلع وقد اكتشف أنه أضاع المفتاح وفـــى توتر شديد بدأ يبحث فى جيوبه وتحت عتبة الباب وعلى السلالم وعندما باء بحثه بالفشل لم يكن أمامه بد من أن يجلس على السلم منتظرا وصول علاء فى موعده الذى لا يخلفه كل ليله.. وجاء علاء بعد منتصف الليل وقد بدا عليه اعتلال المزاج وعندما وجد عبد الجبار على السلم استشاط غضبا وغاصت أصابعه فى لحم عبد الجبار وهو يسأله عن سبب انتظاره بالخارج و حاول عبد الجبار اخباره بأنه نزل لشراء بعض لوازم الـــشقة لكنه للاسف لم يكن معه نقود عندما توجه الى بيت وائل إلا ثمن الأجرة مما أبطل حجته وألجم لسانه عنـــدما سأله علاء عن الأشياء التى اشتراها وفتح علاء باب الشقة ثم دفع عبد الجبار داخلها وأوسعه ضـــربا وهـــو يصرخ فى وجهه بأنه لن يرحمه وأنه سيعيده إلى المعتقل إن لم يعترف له لماذا خرج وأين كان و لمن أعطى مفتاح شقته ؟

وحاول عبد الجبار أن يخترع أى قصة بها بعض من المنطق ولكنه لم يفلح ولم يـــسعفه ذكـــاؤه المتواضـــع وللمرة الألف فى حياته تحكم فيه خوفه ، كانت قلة حيلته تخذله دائما فى أى موقف لا يصح أن يستخدم فيـــه العضلات لان العضلات كانت حيلته الوحيدة وبدونها كان عاجزا إلى حد الشلل . ولم يـــستطع إلا ان يقـــول لعلاء انه خرج للشارع بعد أن شعر انه مخنوق وكان لا يقصد اى شىء سوى التسكع قليلا ثم العودة وعندما سأله علاء عن السبب الذى هز كيانه وجعله يفقد المفتاح ارتبك عبد الجبار بشدة ولم يجد أمامه سوى أن يخبر علاء بأنه رأى انتصار فى الشارع وبهت علاء وكساه الصمت والسكون حتى خيل لعبد الجبار أنه قد تجمـــد فى مكانه فراح يذكره بها ظنا انه قد نسيها وبانها تلك الفتاة فى المعتقل التى كانت تأتى الشقة زمـــان وانهـــا وانها وراح يصف شكلها ويذكره بها، إلى أن قاطعه علاء :

- وايه يعنى لما تمشى فى الشارع وانت ايه دخلك بيها

ارتبك عبد الجبار ثم قال لعلاء انها لم تكن بمفردها بل كانت بصحبة رجل واستقلت معه سيارته ولـــم يـــدر بعدها عبد الجبار من أين يأتيه الضرب وبدأ علاء يستجوبه حول شكل وعمر ذلك الرجل وأين رآهما وأيـــن ذهبا وعن شكل السيارة ولونها وموديلها وبدأ عبد الجبار يصف السيارة والرجل ثم يعيد علاء سؤاله فيتغيـــر الوصف مما يزيد جنون علاء ولم يدر كيف اخرج مسدسه وضرب رأس عبد الجبار بكعب المسدس ليغـــشى عليه ويترك علاء فى حيرة وجنون ان زوج انتصار الأول ما يزال فى السجن ولم يفرج عنه ، تـــرى هـــل تعرف رجلا غيره؟ ومن يكون ولماذا يكذب عبد الجبار ويحاول اخفاء هوية الرجل الذى كان مع انتـــصار؟ والتقط علاء سيجارة من علبة السجائر لكنه لم يطق صبرا ليشعلها فرماها وقيد عبد الجبار وجاء بـــدلو مـــاء وألقاه فى وجهه وراح يركله بقدميه حتى استعاد الوعى فبدأ استجوابه من جديد حتى اضـــطر عبـــد الجبـــار للاعتراف بكل شىء فقد كان على غير استعداد لأن يضحى بمخططه الكبير للانتقام من علاء والصعود إلـــى مصاف المرضى عنهم من قبل الاخوان وقد أصبحوا قوة لا يستهان بها وقد وعده ســـامى بمنـــصب كبيـــر وبإعادة أرضه وممتلكاته التى سلبها علاء بدون وجه حق وكالعادة أقنع عبد الجبار نفسه أن ما باليد حيلة وأنه

www.alkottob.com

لابد ان يعترف فهو ليس من القوة ليواجه علاء بك ، كما أن اعتراف مثل ذلك لن يضير وائل فى شىء فبرغم انفعال علاء وغيرته على انتصار والتى عجز عبد الجبار عن ايجاد مبرر منطقى لها إلا أنه لم يجد غضاضة فى أن يعترف بأنه رآها مع وائل وقد وصفه ووصف سيارته فقط ولم يقل اسمه وخطر بباله ان علاء لا يمكن أن يصل إلى وائل من مجرد وصفه ووصف سيارته بدون رقمها وأنه حتى انتصار لم تعد على علاقة به ، لا يمكن أن تكون والا كان رآها فى النساء اللاتى يأتين إلى الشقة .

لكن علاء لا يعرف اليأس ولا يتسامح مع من يخرج عن سيطرته ويعلن التمرد عليه وقد توجه كالمجنون إلى منزل الزوجيه فى الزمالك ليواجه انتصار ولكنه لم يجدها ولم يجد أشياءها ، كل ما تركته كان خطاب تخبره فيه أنها خرجت للأبد من حياته وتنصحه ألا يحاول أن يتعرض لامها لأنها ببساطة لا تعرف طريقها ولن تعرفه. لم يفلح تحطيم مرايا المنزل ومزهرياته فى تخفيف غضب علاء وفى ثورة غضبه تلقى اتصالا هاتفيا من مقر القيادة يخبره بوقوع تمرد صغير فى معتقل ليمان طرة الذى تم تخصيصه لضباط الجيش المنقلبون على الثورة ولرموز النظام السابق وبمواجهة بين عناصر مسلحة من الإخوان وفرقة للجيش وأخى من الأمن المركزى انتهت بسيطرة الاخوان على محطة مترو البحوث بعد استسلام فرقة الجيش وانضمام قائدها لصفوف الإخوان، وباستدعاء من قائد الثورة يطالبه بالحضور حالا الى مقر القيادة ، كان كل شىء ينهار من حوله فجأة ليتعقد كل شىء وكأنه دم ناجى يلقى عليه لعنة تطالب بالقصاص ، اتجه علاء إلى مقر القيادة وهو يحدث نفسه ، لقد اعتقد أن التخلص من ناجى سيكون خطوة كبيرة فى طريق الصعود ليفاجأ بالعكس تماما فقد كان قتل ناجى خطوة فى طريق الانهيار المباغت الذى وقف عقل علاء حائرا امامه وعند هذه النقطة توقف علاء وأوقف سيارته وقد اكتشف انه وللمرة الأولى نسى عقله وحكم انفعالاته ، لم يكن ليصدق أن قتل ناجى خطأ أو خطيئة فالصواب والخطأ عنده كان لهما معيار واحد فقط .. مصلحته فما يوافق مصلحته كان الصواب بعينه وما كان يخالفها كان الخطأ بذاته ، ومن أجل مصلحته وطموحه كان لابد لعلاء ان يقوم علاء بزيارة مهمة جدا قبل التوجه إلى مقر القيادة وقد كان.

www.alkottob.com

استرد عبد الجبار وعيه وناضل حتى تخلص من قيوده وحاول الخروج ولكن باب الشقة كان مغلقا بإحكام من الخارج ولم يجد أمامه سوى الهرب من نافذة المطبخ . كان عبد الجبار متيقنا ان هذه المرة لن يرحمه عـــلاء فهو يفضل أن يقتل لمجرد الشك وبالطبع لم يكن يستطيع الذهاب مرة اخرى إلى منزل وائل ولذا كان امامـــه حلا وحيدا هو الذهاب إلى سامى مرة أخرى فقد عرف عبد الجبار مخبأ علاء وخفاياه التى تتيح فضح كوارثه أمام العامة ، من نافذة المنور قفز عبد الجبار إلى مدخل العمارة وكان يهم بالخروج عندما اصطدم بانتـــصار وكانت صدمة لكليهما ولكن انتصار وقبل أن ينطق بحرف واحد جذبته من ذراعه إلى سيارتها وقد اســـتجاب تماما ولم يبد أى اعتراض بل انه اعتقد أنها قد اشتاقت إليه ، وفى السيارة سألها كيف عرفت بطريقه فأجابته أنها لم تكن تعرف طريقه ولكنها كانت آتيه إلى زوجها لكى تفضحه فهى تعرف تماما ما يفعله فى هذه الشقة فسألها فى بلاهة:

- هو جوزك كمان واخد شجه هنا؟

ابتسمت وصارحته بتشفى انها زوجة علاء وراحت تشرح له كيف تزوجها وأنها كانت متأكده تماما أنه مازال مساعده المخلص وأنه سيشى بها إلى علاء . وفهم اخيرا عبد الجبار سبب الغضب الرهيب الذى انتاب علاء عندما اخبره انه رأى انتصار مع رجل آخر. وحكى لها عبد الجبار أيضا ما خفى عنها من استيلاء زوجهـــا على ممتلكاته والزج به فى أحد المعتقلات بدون أن يأتى على ذكر اتفاقه مع سامى وبمجرد ان فـــرغ مـــن قصته ابتسمت انتصار وأخبرته انهما لابد ان يتفقا على تدمير علاء فابتسم ابتسامة أظهرت أسنانه المتـــسوسه وأضفت عليه قبحا اضافيا ، واخبرها انه موافق على قتل علاء ولكن بشرط وحيد وهو أن تهبه نفـــسها الآن وتتزوجه بعد مصرع علاء.

لوهلة ترددت انتصار فكيف تعود إلى الوحل بعد أن من الله عليها بالشفاء ؟ ولكنها كانت يائسة وفكرت انهـــا قد نجست جسدها كثيرا بلا طائل وبلا مقابل وبلا سبب سوى الخوف، اذن فلتنجـــسه مـــرة واحـــده أخيـــرة للخلاص من ذلك الوغد الذى دمر حياتها فوافقت وكان عليهما البحث عن مكان لا يخضع لـــسلطة الاخـــوان والا لقتلا فى التو واللحظة وأقيم عليهما حد الزنا ، وأيضا مكان لا يخضع للجيش وقد صار علاء متحكما فى بعض رجاله وهاما بالسيارة على الطرق النائية وحاولت انتصار ان تتحجج بعدم وجود مكـــان وبانـــه مـــن الأجدر بهما ان يؤجلا اللقاء ولكن عبد الجبار لم يكن على استعداد لأن يسمعها فلقد اشتعل جـــسده ولابـــد أن يطفأه حالا بغض النظر عن أى شىء ولذا فقد وجد ضالته فى عشش الزبالة على الطريق الدائرى وبتهديـــد السلاح فتحت له احدى العشش وغاصت انتصار فى الوحل برضا تام هذه المرة لأنها كانت تعلم فى داخلهـــا أنها ستكون المرة الأخيرة.

www.alkottob.com

عاد بيتر من الكنيسة مضرجا فى دمائه وفى حالة ذهول مما حدث له ففى الصباح حاول وائل منعه من الخروج الى الشارع خوفا من استهدافه بعد التهديدات المختلفة التى تلقاها من جهات متطرفة ردا على تقارير قدمها فى برنامجه عن وحشية تيار الاسلام السياسى فى مصر، وعن مخالفات حادة للشريعة الاسلامية ارتكبها بعض رموز هذه الحركة ولذلك كان وائل ينصحه دائما بتوخى الحذر وهذا الصباح فعل معه المستحيل ليقنعه بعدم الخروج ولكنه أصر على حضور الصلاة فى الكنيسة ، وفى الكنيسة تم ضربه ضربا مبرحا بعد أن اختلف مع بعض الشباب المتعصبين الذين هاجموه بسبب اقامته عند مسلم ورفضه الاقامة لدى أحدهم وهو محاسب متعصب واضطر بيتر للدفاع عن وائل وعن الاسلام مما عرضه لغضبهم الشديد حتى أن واعظ الكنيسة لم تفلح محاولاته لتخفيف الضرب عن بيتر ولكنه لم يفلح ، وتم طرد بيتر من الكنيسة ليخرج وهو متاكد أن الكنيسة الارثوذكسية لم تعد مكانا لدين الرب بل مكانا للكره والحقد وتأليب شعب الكنيسة على أتباع الديانات الأخرى بل وعلى الملل المسيحية الأخرى. تذكر بيتر أبواه الأرثوذكسيان وحرصهما على الصلاة كل أحد فى الكنيسة ، أى كنيسة. كانت والدته تقول أن كلها بيوت الرب وكل بيت للرب صالح للصلاة والعبادة. وتساءل بيتر لماذا لم تعد تلك الكنائس بيوتا للرب لمجرد أن قال أحدهم بحرمانية الصلاة فيها؟ وكيف تستطيع كلمة واحدة من رجل دين أن تهدم أساس عقيدة قوامها كان الحب والتسامح؟ لقد سمع وقرا الكثير عن اضطهاد الاقباط فى مصر ولكنه عندما ترك الولايات المتحدة الامريكية ليستقر فى مصر بحكم عمله لم يجد فى الأقباط ملائكة ولا فى العرب – كما كان يسمى المسلمين فى مصر– شياطين بل وجد قطعانا من المشاة يسوقها رجال الدين أنى شاؤوا وللأسف كانت مشيئة رجال الدين فى كلا الطرفين تميل الى الدم والعنف وحب السيطرة وكراهية الآخر. واندهش بيتر أنه لم يصبح متدينا ولم يفكر فى الصلاة فى كنيسته الا بعد ان أقام بين وائل والنمنم ورأى بعض المظاهر الدينية عندهم وشعر بصلة غريبة بين حرص وائل على صلاة الجمعة فى المسجد وان كانت الشوارع غيرآمنة وبين حرص والده على الصلاة كل أحد فى الكنيسة، بل لقد راود بيتر شعور غريب أن مصريته لن تكتمل إلا ان أصبح متدينا مواظبا على ارتياد الكنيسة والتناول. ووصل بيتر الى منزل وائل ليجد النمنم يبكى ويلطم خديه وعندما راى بيتر والدماء تنزف من جسده زادت حدة اللطم فجزع بيتر وساله عن سبب ما يفعله وعندما صارحه النمنم بأن وائل قد تلقى تهديدا من شعبة القصاص والحرابة فى جماعة السلف الصالح– وهى جماعة تكفر الجيش والاخوان معا– بالقتل واحراق المنزل بمن فيه حتى انتابت بيتر حالة من الضحك الهيستيرى وهو لا يكاد يصدق ما يحدث فقد كانت المشكلة منذ سنوات قليلة بين المسلم وجماعة من المسيحيين أو العكس لكن أن تصبح المشكلة بين المسيحى والمسيحى وان يصير الاقتتال بين المسلم والمسلم فى نفس الوطن فهذا هو شر البلية وشر البلية ما يضحك وما هى الا دقائق قليلة حتى دخل وائل الى المنزل وهو يضع يده على قلبه فأسرع بيتر اليه ملهوفا وكف النمنم عن البكاء ونظر نحو وائل فى فزع يحاول تفحصه والاطمئنان أنه بخير وطمأنهما وائل بأنه بخير ثم اخرج تذكرة طيران وأعطاها لبيتر الذى تناولها ونظر فيها مدققا ثم سأل وائل مندهشا اذا ما كان ينوى السفر الى الولايات المتحدة الامريكية ولكن وائل قال له:

- انت اللى هتسافر يا بيتر القناة بتاعتك فجروها النهاردة والتهديد بالقتل فى انتظارك من الجماعات المتشددة عندنا وعندكم وانت مش واخد على الحياة هنا و...قاطعه بيتر ثائرا وقال انه لن يترك مصر مهما حدث فهو مصرى مثلهم تماما وليس أقل منهم وطنية ليترك وطنه فى هذه الظروف الصعبة وهو ليس جبانا ليهرب ولكنه وائل رفض ان يستمع اليه قائلا انه هذه المرة لن يلتزم الديموقراطية التى آمن بها عمره وقال لبيتر أن وجوده خارج مصر سيكون أكثر نفعا فقد تم قصف

www.alkottob.com

الاقلام الحرة أو استعبادها بالمال او الارهاب ووجوده فى امريكا سيكون مهما وسيوفر لوائل الحرية فى ارسال ونشر المقالات التى تتم مصادرتها فى مصر كما أنه بعد أن رأى المهازل التى تحدث فى الوطن سيكون خير داعيا للقضية الوطنية فى الخارج وانه ربما يقوم بجهود فعالة للحول دون خطة غزو مصر، كان وائل يتحدث والدموع تسيل على خدى بيتر تأثرا بالفراق ولان وائل كان قد رتب كل شيء لانقاذ صديقه ماهى الا دقائق حتى جاءت سيارة تابعة للجيش وولول النمنم خوفا من ان تكون قد جاءت لاعتقال وائل لارائه المتشددة ضد الحكم العسكرى ولكن ولدهشته الشديده وجد ضابطا برتبة مقدم يترجل منها ويدخل المنزل مسلما على وائل بحرارة واصطحب بيتر وحقائبه الى السيارة وعلى الباب قال له وائل وقد بدأ العرق يتصبب من جبينه وجسده بغزارة:

- مش هاوصيك يا باسم
- فى عينيه يا وائل مش هاسيبه غير لما اطمن انه فى الطيارة وانها اقلعت

واحتضن بيتر وائل بشدة وانضم لهما النمنم وهو يتشبث بكليهما وينهنه طفل صغير بين أبيه وأمه ووقف وائل والنمنم خارج المنزل يلوحان للسيارة التى أقلت بيتر حتى غابت عن نظرهما وسقط وائل على الأرض فحمله النمنم إلى الداخل ووضعه على الأريكه التى فى المدخل وكان وائل غير قادر على التنفس بشكل طبيعى فالتقط النمنم الهاتف وراح يبحث عن رقم الطبيب ولكن وائل اشار له أن يقترب فجلس النمنم على الأرض بجوار الأريكة وهو يبكى وصارحه وائل بأنه لا فائدة فهو يرى أشباح الموت أمامه وبأن الطبيب لن يدركه فازداد بكاء النمنم ولكن وائل منعه قائلا:

- اللى يحب البلد دى ويشيل همها فى زمن صعب زى ده لازم يتجنن أو يموت بالقلب

وابتسم وائل ابتسامة طالت وطال الصمت حتى عندما طلب النمنم الطبيب وجاء الطبيب وأكد أن قلب وائل قد توقف ، حتى وهم يغسلونه ظلت الابتسامة المرة الحزينه على وجهه وأبت عينيه الانغلاق حتى كفنوه وكأنه كان ينتظر أن يرى شيئا ما قبل الرحيل وكأن نظره يأبى النوم قبل أن يرى ما تمنى.. كانت الجنازة شبه سرية ليس بها سوى النمنم وشقيق وائل وضابط الجيش الذى أوصل بيتر إلى المطار. لأول مرة يشعر النمنم باليتم ورغم أن فارق السن بينهما لم يكن كبيرا إلا أن وائل كان بمثابة أب له كان هو من ثقفه وعلمه وآواه حتى لقد كتب له المنزل مناصفة مع بيتر وترك باقى ممتلكاته لأهله، كيف غاب وهو بعد فى عنفوانه كيف لم يحتمل قلبه الحياة؟ ووصلت الجنازة إلى المقبرة ليجد النمنم تجمهرا كبيرا لم يتخيله كان تجمهر غريب به كتاب ومشاهير وبه بسطاء ساعدهم وائل كل هؤلاء جاؤوا رغم التهديدات والتحذيرات جاؤوا رغم أنف الإخوان ورغما عن العسكر . فى المدافن عرف النمنم كم كانت حياة وائل غالية وكم كان رجلا عظيما وفى المدافن عرف النمنم ما كان يعنيه وائل لانتصار عندما رآها تنهار على قبره باكية حتى فقدت الوعى ورأى معجزة عندما لمح دمعه تلمع فى عيون عبد الجبار القاسية وعلى باب عينيه وقفت غلظته حائلا بينها وبين وجنتيه.

وعاد النمنم الى بيت وائل وجلس فى غرفة المكتب بين الكتب وراح يقرأ ويقرأ فى البداية كانت القراءة تشكل عبئا عليه وكان يتعتع ولكن فى آخر الليل كان يقرأ بسلاسة أدهشته كما أدهشه أن القراءة كانت تعزيه وتخفف ألام الفراق . قضى النمنم شهورا طويلة فى القراءة ، شهورا صدر فيها قرار بمنع بيتر من دخول مصر ووضعه على قوائم الترقب ، شهورا زادت الاوضاع سوءا وسط ترقب اجتياح أمريكى وبين مناقشات فى الكونجرس والكنيست عن نوع الاجتياح واذا ما كان يفضل ان يكون امريكيا اسرائيليا

www.alkottob.com

أم تكتفى أمريكا بالضرب جوا وتترك الاجتياح البرى لاسرائيل وعن إمكانية استخدام السلاح النووى فى مصر من عدمها..

فى تلك الشهور أدمنت انتصار الخمر والحشيش وكل ما كانت تطوله يد عبد الجبار من مخدرات وممنوعات يزوده بها أصدقاؤه فى مكتب سامى بك أو الاخ سامى كما كان يطلق عليه فى الجماعة ، شهور ماطل فيها عبد الجبار فى الخلاص من علاء لان الامر لم يأته من الجماعة ، وبدأ خلالها يصطحب انتصار الى منزل الأخ سامى لتعمل بحق ما تحتسيه من منكر .. إلى ان جاء يوم ثارت فيه على عبد الجبار وقالت له انها ستقتل علاء بنفسها ان لم يفعل وانها لن تتزوجه بعدها فهو أخلف وعده لها ووافقها عبد الجبار ووعدها أنه سيفعل ولكن عليها أن تصبر عليه قليلا ولكنها تناولت سكينا من المطبخ ووضعته فى حقيبتها وهمت بالخروج وحاول هو منعها وأخذ منها السكين وقال أنه هو من سيفعلها حتى لا تعرض نفسها للأذى ونظر لها نظرة لم تراها فى عينيه من قبل ، آه لو علمه أحد فن الكلام لكان قالها لها ولكنه لم يكن يستطيع أن يقول لها أحبك كان الأمر أشبه بأن تطلب من أفعى ان تمشى على ساقين وكيف تفعل وهى حتى لا تملكهما؟ وفتح عبد الجبار باب الشقة ولكنه لم يغادرها فقد وجد علاء أمامه ومعه مجموعه عرف عبد الجبار من زيهم ولحاهم إلى من ينتمون.

وأسرعت انتصار الى المطبخ وعلاء يتلو على عبد الجبار تهمته وهى الزنا وعقوبته وهى القتل وخرجت انتصار وقد احمر وجهها وتهدجت انفاسها غضبا وغلا وهى تصرخ:

- بس انت نسيت يا علاء بيه.. ثم قالت بسخرية وهى تنظر إلى لحيته الصغيرة: قصدى يا شيخ علاء أنه عبد الجبار مش محصن يعنى يتجلد بس مش اعدام وقفزت نحو علاء شاهرة سكين مطبخ ليعاجلها أحد الرجال بسيف فيقطع رقبتها ، بينما اقترب رجلان من عبد الجبار وشلا حركته بعد أن شلت الصدمه لسانه تماما واقترب السياف من عبد الجبار وقال له علاء وهو يقلب جثة انتصار بين قدميه:
- اتشاهد يا عبده يمكن ربنا يرضى عليك

ونظر له عبد الجبار بغل شديد ثم قال ودون ان يتلعثم:

- لو فيه ربنا مكانش كل ده يحصل ولو فيه ربنا يبجى انا استحج الجحيم لانى فى يوم خدمت كلب زيك

ونظر علاء الى السياف وارتفع السيف ثم هوى وسكت عبد الجبار إلى الأبد .. ليبتسم علاء فى راحة وظفر فقد عرف من أين تؤكل الكتف ولكن جهاز الاسلكى الذى يحمله أطلق صافرته ليرد على سامى الذى كان يعوى :

- أمريكا بتضرب المطارات واسرائيل دخلت سينا يا أخ علاء وانا اخترتك تتقدم الصفوف للجهاد فى سيناء فهى تحت سيطرتنا ونحن المسؤولون عنها ولكن علاء صرخ :
- وليه انت متتقدمش الصفوف يا أخ سامى؟ واهو تدخل الجنه وتلحق بالسلف الصالح
- يا اخ علاء التزم بالأمر ولا تعصاه فتغضب ربك
- يا اخ سامى ..اذهب الى الجحيم

وينهى علاء المكالمة ليفر بنفسه الى المنزل الامن الذى لم يكن أحد يعرف طريقه تاركا رجاله فى حيره وهم لا يعلمون ما الذى يحدث وكل ما كان يشغل باله فى الطريق هو شىء واحد فقط : كيف يجد وسيلة اتصال مع الأمريكان؟

www.alkottob.com

تحول منزل وائل إلى ثكنة عسكرية لتدريب كوادر المقاومة على يد المقدم باسم وكان النمنم يخدم رجال المقاومة فى سعادة ويقرأ لهم أشعار بيرم التونسى وصلاح جاهين والابنودى واحمد فؤاد نجم وكان يتندر بالخلاف بين الابنودى والفاجومى وهو يقول للرجال:

- أهو الاتنين مكانوش يطيقوا بعض لكن شوفوا الاتنين ازاى كانوا بيموتوا فى مصر؟ الله يرحمهم بقى

وساله احد الشباب الذى كان قهوجيا :

- زى الخلاف بين اخواننا البعدا وحكومة العسكر كده؟

ضربه بيتر على قفاه وهو يقول فى غضب:

- يا جاهل وهما دول بيحبوا مصر ؟

ويرن هاتف نمنم المحمول ويرد بسعادة عندما يرى الرقم:

- أستاذ بيتر.. حبيب قلبى . حقيقى؟ جاى؟ ازاى؟ الله أكبر هاستناك يا صديقى

وأغلق النمنم هاتفه وصاح فى سعادة:

- أبشروا يا رجالة المقاومة الحاج قصدى الخواجه .. يووه المقدس بيتر جاى وهاينضم لاخوانه فـــى الجهاد .. نظر له شابان ملتحيان باعتراض فنظر لهما شذرا ورفع قبضة يده قائلا:

- ايبه .. حد فيكو عنده اعتراض؟ وعلى فكرة هينام معاكو فى نفس الأوده

وضحك الجميع .. ولكن المقدم باسم صاح فيهم :

- كفاية هرج ومرج .. نظاااااااااام

وعاد الجميع الى التدريبات الشاقة

www.alkottob.com

على باب المطار ترجل بيتر من التاكسى حاملا حقائبه ووجد عدد من اصدقائه الامريكان فى انتظـــاره لوداعه وطلب منه أحدهم أن يرسل له تقارير مصورة من مصر مادام سيكون هناك ولكن بيتر اعتذر له لانه ذاهب الى هناك كمصرى ليحمل السلاح فى وجه الغزاة الامريكان والاسرائيليين، لـــيس كمراســـل أجنبى.

وعندما سأله احدهم معاتبا كيف يقبل ان يرفع سلاحه فى وجه الجيش الامريكى رد بيتر فى حـــزم أنـــه مصرى لا أمريكى واذا كان دفاعه عن وطنه يغضب الحكومة الامريكية فليسقطوا عنه جنسية امريكا

وعلى باب الطائرة سأله الشرطى وهو يراجع جواز سفره :

- مستر بيتر عونى؟ اسمك بيتر أم بيير؟

ابتسم بيتر ابتسامة أضاءت وجهه الخمرى وهو يقول:

- بطرس.. اسمى بطرس عونى يا خواجه

(تمت)

www.alkottob.com